الـطبــاق
صـــوره ومـقـامـاتــه
فى شـعـر علـي بن أبى طالب
رضى اللَّه عنـه

إعداد

د/دسوقى عبد المعز محمد محمد

٢٠١٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، اللهم بك المعونة، ومنك الهداية، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، وأصلي وأسلم على أفصح من نطق بالضاد، سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – الذي آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب، وعصمه من الزلل فكان من الحجة والبلاغة بمكان، فاللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحابته الذين اتصفوا ببلاغة القول وسحر البيان.

وبعد

فقد ذكر الإمام عبدالقاهر الجرجاني "أن الشعر هو معدن البلاغة، وعليه المعول فيها"(١)، وهذا يعني أن جوهرالعمل البلاغي هو تفقد الأبنية الشعرية، ودراستها دراسة تذوقية تحليلية.

ومن هنا كان اتجاه الدارسين في البلاغة العربية إلى التطبيق رغبة منهم في تهذيب الدرس البلاغي وإثرائه"(٢).

والبديع أحد أعمدة البلاغة الثلاثة الذى لم ينل من الحظوة والاهتمام ما ناله رفيقاه الآخران المعانى والبيان، بل وصل الأمر بالمتأخرين من

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني – تحقيق/ محمود محمد شاكر: ٨، ٧– ط المدني بجدة – ط ثالثة ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

(٢) دراسة في البلاغة والشعر – د/ محمد أبوموسى : ١٧ – مكتبة وهبة – ط أولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.

البلاغيين أن بينوا أن الحسن المستفاد من البديع حسن عرضي لا ذاتي، وهذا ما انجلى من تعريفهم له بأنه: علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال، ووضوح الدلالة على المعنى المراد، ومن ثم فقد استهان به الدارسون واعتبروه محسنا يطلى به الكلام ويزخرف، وهذا ما صنعه المتأخرون وتوارثه من أتى بعدهم، وأصبح الخروج عن هذا الميراث بدعة تحارب، والإنصاف يقتضى أن يقف هؤلاء على التراث البديعي نثرا وشعرا وقفة متأنية مدققة، فإنهم يرون ما يستأهل الإجلال والإكبار، وأن البديع من صميم البلاغة وليس عرضا ولا طلاء، بل هو مقصود لذاته إذا تطلبه المقام واقتضاه الحال.

ومن هنا كانت هذه الدراسة عن الطباق عند شاعر من شعراء عصر صدر الإسلام، هوعلي بن أبى طالب – رضى الله عنه – ذلك العصر الذى لم يكثر فيه البديع وينتشر انتشارا كبيرا على ألسنة الشعراء، فقد جاءت هذه الدراسة لتؤكد أن للبديع قيمته ومكانته فى صياغة المعنى وتأكيده وتقريره ثم تحسينه.

كما تنبرى هذه الدراسة للرد على الزعم أن البديع من بنات أفكار بعض الشعراء فى العصر العباسي من أمثال: بشار، ومسلم بن الوليد، وأبي تمام، والبحتري، حيث أكثروا منه إكثارا ممجوجا، فسترى – بعون الله تعالى – فى هذه الدراسة كيف أكثر شاعرنا من فن الطباق إكثارا بلغ حد أن يأتى فى ثلاثة أبيات بثلاث صور من الطباق... إلخ([1]).

([1]) ينظر البحث:١٩.

وتجدر الإشارة فى هذا المقام إلى أن الطباق وقع عند شاعرنا بكل صوره التى حددها المتأخرون، بل زاد عليها صورا لم يشيروا إليها، ولم يمثلوا لها كالطباق بين الظروف، والطباق بين الحروف عن طريق السلب، والطباق بين اسم الفاعل واسم المفعول من مادة واحدة، ومن مادتين مختلفتين، وبين الفعل المبنى للمجهول واسم المفعول، والطباق بين ضمير المخاطب وضمير الغائب، وبين اسم الفاعل والصفة المشبهة، وهذا ما سيتضح من خلال هذه الدراسة.

أما منهج الدراسة فقد قام على إبراز الطباق بكل أنواعه فى شعرعلي – رضى الله عنه – وربطه بالسياق والمقام الوارد فيهما، مع إبراز دور الأساليب البلاغية الأخرى التى تواءمت مع الطباق فى تقرير المعانى التى أمَّها الشاعر.

هذا وقد اقتضت طبيعة الدراسة أن تأتى فى مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، ثم المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المقدمة: وفيها بيان قيمة البحث، وطبيعته، وخطته، والمنهج الذى سار عليه.

التمهيد: وشمل مطلبين:

المطلب الأول: علي بن أبى طالب– رضى الله عنه– حياته وشعره.

المطلب الثانى: الطباق حقيقته، وصوره، وأنواعه.

المبحث الأول: الطباق بين الأسماء فى شعرعلي بن أبى طالب رضى الله عنه.

المبحث الثانى: الطباق بين الأفعال فى شعرعلي بن أبى طالب رضى الله عنه.

المبحث الثالث: الطباق بين المختلفين فى شعرعلي بن أبى طالب رضى الله عنه.

المبحث الرابع: الطباق بين الحروف فى شعرعلي بن أبى طالب رضى الله عنه.

المبحث الخامس: الجديد من صور الطباق فى شعرعلي بن أبى طالب رضى الله عنه.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج هذه الدراسة، ثم ثبت المراجع والمصادر، ثم فهرست الموضوعات.

وآمل أن يكون هذا البحث لبنة جديدة في صرح الدرس البلاغي التطبيقي القائم على تحليل الشعر العربي وتذوّقه."... عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا، رَبَّنَاافْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْن قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ" ، والله وليّ التوفيق

التمهيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: علي بن أبى طالب رضى الله عنه، حياته وشعره.

المطلب الثانى: الطباق، حقيقته، وصوره، وأنواعه.

المطلب الأول:علي بن أبى طالب رضى الله عنه، حياته وشعره

اسمه ونسبه:

علي بن أبى طالب- رضي الله عنه - بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي، يكنى أبا الحسن واسم أبيه أبو طالب بن عبد مناف وقيل اسمه كنيته والأول أصح، وكان علي أصغر ولد أبي طالب.

وأم علي بن أبي طالب فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، توفيت مسلمةً قبل الهجرة وقيل: إنها هاجرت([1]).

إسلامه:

أول الناس إسلاما بعد خديجة - رضى الله عنها. وروى عن سلمان وأبي ذر والمقداد وخباب وجابر وأبي سعيد الخدري وزيد بن الأرقم أن عليا بن أبي طالب - رضي الله عنه - أول من أسلم وفضله هؤلاء على غيره([2]).

([1]) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر:١/٣٣٥- دار ابن كثير - د.ت.

([2]) السابق:١/٣٤٠.

كنيته:

يكنى بكنيتين، الأولى: أبو الحسن، نسبة إلى ابنه الحسن بن علي، والثانية: أبو تراب، وذلك لما روى عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب- رضى الله عنه - رفيقين في غزوة العشيرة، فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بها، إذ هناك ناس من بني مدلج يعملون في عين لهم في نخيل، فقال علي رضى الله عنه: يا أبا اليقظان، هل لك في أن تأتي هؤلاء فتنظر كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئت. قال: فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعلي حتى اضطجعنا في صَوْرٍ من النخل، وفي دِقْعَائِها(١) فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدِّقْعَاء التي نمنا فيها، فيومئذٍ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: "ما لك يا أبا تراب"؟ لما يرى عليه من التراب(٢).

أولاده:

---

(١) الدِّقْعَاء:عامة التراب، وقيل: التراب الدقيق على وجه الأرض. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي

المصري: مادة "دقع" – دار صادر– بيروت – ط أولى – د.ت

(٢) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – لأبى الحسن علي بن محمد الواسطي المغازلي

تحقيق/ أبو عبد الرحمن تركي الوادعي:٣٠ – دار الآثار – صنعاء– ط أولى – ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

ولد له ٢٨ ولدا منهم ١١ ذكرا، و١٧ أنثى([1]).

خلافته ، وإقامته :

ولى الخلافة بعد عثمان – رضى الله عنه – سنة ٣٥هـ ، فحدثت فتن جسام: وقعة الجمل ، وصِفِّين، وأقام على – رضى الله عنه– بالكوفة (دار الخلافة) إلى أن قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة، واختلف فى مكان قبره رضى الله عنه.

صفته الخَلْقية:

كان – رضى الله عنه – أسمر اللون، عظيم البطن والعينين، أقرب إلى القصر، أفطس الأنف، دقيق الذراعين، وكانت لحيته ملء ما بين منكبيه.

آثاره:

١- نهج البلاغة:

كتاب يضم بين دفتيه خطب الإمام، وأقواله، ورسائله، جمع هذا الكتاب الشريف الرضي، وسماه "نهج البلاغة"، وقد شرحه الإمام محمد عبده وغيره، ويقع فى أربعة أجزاء طبع فى مجلد واحد.

٢– شعره:

وهو ما جمعه أكثر من ديوان مطبوع، وهى فى ظن صاحب معجم

([1]) الأعلام لخير الدين الزركلى:٢٩٦/٤ – دار العلم للملايين – ط ١٥ – ٢٠٠٢ م.

الأعلام – عدا النسخة التى اعتمد عليها هذا البحث – من صنع رواة الأقاصيص، فمعظمه، أو كله مدسوس عليه (١).

٣- كتب فى سيرته رضى الله عنه:

كثيرة هى الكتب التى ترجمت لأبى الحسن – رضى الله عنه – فمنها كتب قديمة: صفة الصفوة، ومقاتل الطالبيين، وحلية الأولياء، والإصابة (٢). وفى العصرالحديث: كتب المتأخرون فى سيرته الكتب الكثيرة، ومن هذه الكتب: الإمام على، لعبد الفتاح عبد المقصود، وترجمة على بن أبى طالب، أحمد زكى صفوت، عبقرية الإمام لعباس محمود العقاد، وعلى بن أبى طالب لحنَّا نمر، وحياة على بن أبى طالب لمحمد حبيب الله الشنقيطي، وعلي وبنوه لطه حسين ، والإمام على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين، لمحمد رضا(٣).

تأملات فى شعره:

قال خير الدين الزركلي: "أما ما يرويه أصحاب الأقاصيص من شعره، وما جمعوه وسموه (ديوان علي بن أبى طالب) فمعظمه أو كله مدسوس عليه"(٤) ولعل كلمة الزركلي هذه فى شعره – رضى الله عنه –

---

(١) ينظر: السابق: ٢٩٦/٤ .

(٢) وهناك كتيب اسمه: مناقب الأسد الغالب ..على بن أبى طالب رضى الله عنه، لابن الجزري ت ٨٣٣ هـ.

(٣) الأعلام:٢٩٦/٤.

(٤) الأعلام:٢٩٦/٤.

هى الأقرب إلى الحقيقة؛ ذلك لأن معظم شعره – رضى الله عنه – منسوب إليه، أو منحول كما يقول نقدة الشعر.

وتصَفَّحْ أي طبعة من طبعات الديوان – غير هذه – تجد عبارة: وينسب إليه، أو مما ينسب إليه ونحو ذلك. ثم إن كثيرا من الأشعار المنسوبة إليه تجدها فى ديوان الإمام الشافعي– رضى الله عنه – وغيره ([1]).

مصادر شعره :

ويقصد بـ"شعره"هنا: الشعر الذى صحت نسبته إليه – رضى الله عنه – ومصادره هي:

• كتب السيرة النبوية: **السيرة الحلبية، والسيرة النبوية لابن إسحاق، وابن هشام، والروض الأنف للسهيلي.**

• كتب التاريخ: **تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، ومروج الذهب للمسعودي.**

• المعجمات اللغوية: لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط، وتاج العروس.

• مؤلفات الغزالي: إحياء علوم الدين، ومجموعة رسائل الغزالي؛ ذلك لأنه أكثر من الاستشهاد بشعر أبى الحسن، وصرح بنسبته إليه.

ترجمة شعره – رضى اللّه عنه – وشرحه:

([1]) مقدمة ديوان علي بن أبى طالب – رضى الله عنه – اعتنى به:عبد الرحمن المصطاوي:٩، ٨– دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط ثالثة – ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

١- تُرجم بعض شعره إلى اللغة التركية منظوما فى عصر السلطان عبد الحميد الأول، قام بالترجمة مستقيم زادة سعد الدين سليمان، وسمى عمله "ترجمة المنتخب من ديوان سيدنا علي بن أبى طالب رضى الله عنه"، وطبعت هذه الترجمة الميسرة فى مصر، ثم فى دمشق عام ١٣١٢هـ .

والسمة الغالبة على هذا المنتخب أنه انتخب ما استحسنه، لا ما صحت نسبته، وليس ما هو حسن فى الواقع.

٢- وشُرح الديوان المعروف بالفارسية، شرحه القاضى حسين بن معين الدين الميبدي، حيث جعل له سبع مقدمات على طريقة أهل التصوف.

وفاته:

كانت فى سنة ٤٠هـ ، ٦٦١م، قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلة في مؤامرة ١٧ رمضان المشهورة ([1]).

****

([1]) الأعلام:٤/٢٩٥.

المطلب الثانى: الطباق؛ حقيقته وصوره ، وأنواعه

الطباق لون من ألوان البديع المعنوي له مع غيره من صور البديع الأخرى دوره فى الإبداع الشعري بوجه خاص والبياني على وجه العموم، وله مكانته السامقة فى بناء المعنى وتجليته، وإن كل ما يلح عليه المقام ويهتف به السياق إنما هو من جوهر الأسلوب لا من عرضيته، فالحسن ذاتي مادام قد وفي بالغرض، وولج إلى المقصود، مع عدم إغفال ما يحدثه التناغم الصوتي فى بعض ألوان البديع كالجناس والسجع من تنشيط للخامل، وإيقاظ للفكرة، والحديث عن البديع ونشأته وتطوره ليس هدف تلك الدراسة، فضلا عن كثرة ما كتب عن هذه النشأة([1]).

مسميات الطباق:

يتردد الطباق بين المسميات الآتية: الطباق، والمطابقة، والتضاد، ومجاوزة الأضداد، واختار له قدامة بن جعفر "التكافؤ" وجعل الطباق مصطلحا لنوع آخر، والعجيب أن قدامة فسر التكافؤ بالتقابل، حيث قال: "والذى أريد بقولى متكافئين فى هذا الموضع أي متقابلين، إما من جهة

([1]) يراجع:الصبغ البديعي– أحمد موسى – ط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر– القاهرة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م، والصورالبديعية بين

النظرية والتطبيق– حفنى شرف – مكتبة الشباب– ط أولى– ١٩٦٦م، والبلاغة تطور وتاريخ– د/ شوقى ضيف – ط دار المعارف، وبديع القرآن لابن أبى الإصبع المصري – تحقيق/ حفنى شرف – ط نهضة مصر، وتحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصري–

تحقيق/ حفنى شرف – ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– القاهرة.

المضادة، أو السلب والإيجاب، أو غيرهما من أقسام التكافؤ"([١]). "ومادام التكافؤ يفسر بالتقابل عنده فهذا يعنى أنه داخل فيه، ولو جعل هذا اللون داخلا فى المقابلة لسلم له، ولما تعرض للهجوم الضارى من علماء هذا الفن، ولو اتبع ابن المعتز وسماه طباقا لصان نفسه من ألسنة القوم"([٢]).

الطباق فى اللغة والاصطلاح:

ورد فى لسان العرب "طابَقَهُ مطابَقةً وطِباقاً وتَطابَقَ الشيئَان تساوَيا، والمُطابَقةُ المُوافَقة، والتَّطابُق الاتفاق، وطابَقْتُ بين الشيئين إذا جعلتهما على حَذْو واحد وألزقتهما، وهذا الشيء وَفْقُ هذا ووِفاقُه، وطِباقُه، وطابَقُهُ، وطِبْقُه، وطَبِيقُه ومُطْبِقُه.....والسمواتُ الطِّباقُ سميت بذلك لمُطابَقة بعضها بعضًا، أَي بعضها فوق بعض، وقيل لأَن بعضها مُطْبَق على بعض"([٣])، إذًا الطباق يعنى الموافقة، يقال: طابقت بين شيئين إذا

([١]) نقد الشعر ، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي:١٤٨، ١٤٧- ط بيروت- د.ت.

([٢]) دراسات فى علم البديع د/ أحمد محمد علي:١٠- مطبعة الأمانة- ط أولى – ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، وينظر فى ذلك:الموازنة بين أبى

تمام والبحتري للآمدي:١/٢٧٥، ٢٧٤، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي:٢٢٩، والعمدة لابن رشيق القيرواني، تحقيق/ محمد

محيي الدين عبد الحميد:٢/٥- ط دارالجيل – د.ت.والمثل السائرلابن الأثير، تحقيق/الحوفى، وطبانة:٣/١٤٣، ط نهضة مصر.

([٣]) مادة "طبق".

جمعتهما على حذو واحد وألصقتهما([1])، وطابق البعير فى مشيه أى وضع رجله موضع يده، قال النابغة الجعدي:

وَخيلٌ يُطابقن بالدَّارِعينَ ... طِباقَ الكلابِ يَطَأنَ الهِراسَا

شبه الخيل فى مشيتها وهى تضع أرجلها مكان أيديها بوطء الكلاب الشوك فى حذر وخوف، فهى لا تضع أرجلها إلا حيث رفعت أيديها؛ وذلك طلبا للسلامة.

والطباق فى الاصطلاح:

عرفه الخطيب القزويني بقوله: "هو الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين فى الجملة"([2])، أو هو "الجمع بين الشيء وضده فى الكلام شعرا أو نثرا"([3]) ومن العلماء من جعل الطباق والمقابلة فنا واحدا، وبعضهم يجعلهما فنين، وقد اتخذ البحث من الرأي الثانى سبيله.

صـور الطبـاق:

([1]) الخصائص لابن جني ، تحقيق/ محمد على النجار:٣٢/١- ط دار الهدى للطباعة – بيروت – لبنان – د.ت.

([2]) الإيضاح فى علوم البلاغة المعانى والبيان والبديع: ٣١٧- دار إحياء العلوم – بيروت – ط الرابعة – ١٩٩٨م.

([3]) ينظر العمدة:٥/٢، ومفتاح العلوم ، للسكاكي، ضبط وتعليق/ نعيم زرزور:٢٢٣ – دار الكتب العلمية – بيروت- ط ٢ ،

١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م، وشروح التلخيص:٢٨٦/٤- طبعة دار السرور- بيروت – د.ت.

الجمع بين الشيء وضده يستوى فيه أن يكون اللفظان حقيقيين أو مجازيين، أو مختلفين بأن يكون أحدهما حقيقة، والآخر مجازا، أو أن يكون اللفظان اسمين، أو فعلين أو حرفين، أو مختلفين، وزاد أحد الباحثين أن يكون اللفظان ظرفين، إذ يقول: "لا أعرف أحدا من العلماء لفت نظره التضاد بين الظروف، مع أنها أوضح فى التضاد من الحروف"(١) ومثل له بقوله تعالى "لِلَّهِ الْأَمْرُمِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ"(٢)، فبين "قبل" و"بعد" طباق من الوضوح بمكان.

وقد اعترض بعض العلماء على وقوع الطباق بين المختلفين، واشترطوا المماثلة بين المتضادين، كأن يتقابل الاسم مع الاسم، والفعل مع الفعل، ولا يتقابل الاسم مع الفعل (٣)، والحق أن فى هذا الفهم تضييقًا للواسع؛لأن الطباق كما يقع بين المتفقين فى الاسمية يقع بين المختلفين على حد سواء، وفى فصيح العربية ما يؤيد ذلك. وبناء على ذلك فصور الطباق كما يلى:

الطبـاق بين اسميـن:

---

(١) دراسات فى علم البديع:١٤.

(٢) سورة الروم من الآية:٤.

(٣) ينظر الفوائد المشوق لابن القيم:١٤٥– طبعة مكتبة المتنبى – القاهرة – د.ت، وعروس الأفراح لابن السبكي:٤/٢٨٧(ضمن شروح التلخيص).

ومن شواهده وأمثلته قوله سبحانه "وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ"(١)، فبين "أيقاظا" و"رقود" طباق، وهما اسمان، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى...."(٢) فبين "العليا" و"السفلى" طباق وهما اسمان، ومن ذلك قوله أيضا "خيرُ المال عينٌ ساهرةٌ لعينٍ نائمةٍ"(٣). وهذه المطابقة تعطى لونا جماليا يبرزعمل الخير الذى يمتد بعد فاعله، وتكثيف وإتقان العمل الذى يمتد جزاؤه بعد أدائه وفعله، حتى إنه ليستريح الفاعل ويظل الفعل يخدمه، ويتوقف العمل ويظل أجره متدفقا، وبذلك يبعث الحديث على حث الناس نحو ما يريحهم إن تعبوا، وما يؤمنهم إن خافوا(٤).

ومنه قول شاعرنا علي بن أبى طالب رضى الله عنه:(٥)

---

(١) سورة الكهف من الآية:١٨.

(٢) الحديث بتمامه فى فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر، أبى الفضل العسقلاني الشافعي، باب وجوب النفقة على الأهل والعيال:٩ /٥٠٠- دار المعرفة – بيروت – ١٣٧٩هـ.

(٣) الحديث فى كتاب النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق/ طاهرأحمد

الزاوى، ومحمود محمد الطناحي:١٠٤٣/٢- باب السين مع الهاء – المكتبة العلمية – بيروت ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٤) دراسات وتطبيقات فى علم البديع، د/يحيى محمد يحيى:٦٢، مطبعة الأمانة- ط أولى ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م.

(٥) ديوان الإمام علي بن أبى طالب رضى الله عنه، اعتنى به/عبد الرحمن المصطاوي:٤٨- دار المعرفة بيروت – لبنان –ط ثالثة

=

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا عُمِّرْتَ مُمْتَحَنٌ ☆☆ بِالخَيرِ وَالشَّرِّ وَالمَيْسُورِ وَالعُسَرِ

فبين "الخير" و"الشر" طباق وهما اسمان، وكذلك بين "الميسور" و"العسر".

ومن الطباق بين اسمين قوله أيضا:([1])

لَوْ كُشِفَتْ لِلْمَرْءِ أَطْبَاقُ الثَّرَى ☆☆ لَمْ يُعْرَفِ المَوْلَى مِنَ العَبْدِ

حيث طابق بين "المولى" و"العبد".

الطبـاق بين فعليـن:

ومن شواهده قوله عز وجل "إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ"([2]) ، وقوله سبحانه "وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى*وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا"([3])، فبين الفعلين "يحيى" و"يميت" فى الآية الأولى طباق، وكذلك فى الآية الثانية طابق بين الفعلين "أضحك" و"أبكى"، وبين الفعلين "أمات" و"أحيا". ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم "إنكم ما علمت تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع"([4]) فبين "تكثرون" و"تقلون" طباق. ومن ذلك قول شاعرنا علي بن أبى طالب مطابقا بين المجيء والذهاب:([1])

١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م.

([1]) السابق:٦١.

([2]) سورة البقرة من الآية:٢٥٨.

([3]) سورة النجم:٤٤، ٤٣.

([4]) الحديث تحت رقم:٣٧٩٥١، فى كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي

=

كفلَ الإلهُ برزقِ كُلِّ بَرِيّةٍ ☆☆ والمَالُ عَارِيةٌ تَجِيءُ وتَذْهَبُ

وقوله مطابقا بين الضحك والبكاء:([٢])

كَمَا أَضْحَكَكَ الدَّهْرُ ☆☆ كذلكَ الدَّهْرُ يُبْكِيْكَا

وقوله مطابقا بين القعود والقيام:([٣])

إِنَّا إِذَا قَعَدَ اللِّئَامُ ☆☆ على بِسَاطِ العِزِّ قُمْنَا

وقوله مطابقا بين الطي والنشر:([٤])

وكذاك سِرُّ المَرْءِ إنْ لَمْ يَطْوِهِ ☆☆ نشرته ألسنةٌ تزيدُ وتَكْذِبُ

الطباق بين حرفيـن:

من شواهده قوله سبحانه "لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ"([٥]) ففى الآية طباق بين "على" و"اللام"، و"اللام" تُشعر بالملكية المؤذنة بالنفع، و"على" تشعر بالعلو المشعر بالتحمل والثقل المؤذن بالضر، فصار تقابلهما كتقابل النفع والضر وهما ضدان([٦])

البرهان فوري، تحقيق/ بكري حياني، وصفوة السقا:١٤/٦٦- مؤسسة الرسالة – ط الخامسة – ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

([١]) الديوان:٣٨.

([٢]) السابق:١١٦.

([٣])السابق:١٤٩.

([٤]) الديوان:٤٦.

([٥]) سورة البقرة من الآية:٢٨٦.

([٦]) ينظرالجنى الدانى لابن هشام:٩٦ – طبعة بيروت – د.ت.

ومن الوضوح بمكان من خلال التعليق السابق على الآية الكريمة أن الطباق ليس بين هذين الحرفين، بل بين معنييهما، والطباق بين الحروف لم يدرس كما درس الطباق بين الأسماء والأفعال، بل إن البلاغيين لم يذكروا سوى شاهدين، تلك الآية السابقة، وقول الشاعر:

على أننى راض بأن أحمل الهوى ☆☆ وأخرج منه لا عليَّ ولا ليَا

فى حين ذكر ابن رشيق قول المتنبى:

ضُرِبنَ إلَيْنَا بالسّياطِ جَهَالَةً ☆☆ فَلَمّا تَعَارَفْنَا ضُرِبنَ بهَا عَنّا

وعلق على البيت بقوله: "فقوله "ضُرِبنَ إلَيْنَا" مجيء إقدام، وقوله "ضُرِبنَ بهَا عَنّا" مجيء ذهاب وفرار، وهما ضدان(١).

ومن ذلك قول علي:(٢)

رُبَّ يَوْمٍ بَكَيْتُ مِنْهُ فلمّا ☆☆ صرت في غيره بكيت عليه

وقوله مطابقا بين "على" و"اللام":(٣)

ترى النفس ما عملت محضراً☆☆ ولو ذَرَّةً كان مِثْقَالَها

يحاسبها ملك قادر ☆☆ فإمّا عَلَيها وإمّا لها

وقوله مطابقا بين "من" و"إلى":(٤)

---

(١) العمدة:٢/٩.

(٢) الديوان:١٥٦.

(٣) السابق:١٣١.

(٤) السابق:١٥٦.

عَجَبا لِلَّزمانِ في حَالَتَيْهِ ☆☆ وبلاء ذهبت منه إليه

الطباق بين مختلفين (اسم وفعل):

من شواهده قول الحق سبحانه "رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى"([1]) فبين الفعل "تحيى" والاسم "الموتى" طباق.

ومن ذلك قول علي:([2])

يُغَطِّي عيوبَ المَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ ☆☆ يُصَدَّقُ فِيمَا قَالَ وَهْوَ كَذُوْبُ

فبين "يُصَدَّقُ" وهو فعل و" كَذُوْبُ" وهو اسم طباق.

ومنه قوله:([3])

إِنَّ الأَمِيْنَ وإِنْ تَعَفَّفَ جُهْدَهُ ☆☆ لا بُدَّ أنَّ بِنَظْرَةٍ سَيَخُونُ

فطابق بين الاسم " الأَمِيْنَ" والفعل "سَيَخُونُ".

ومنه أيضا قوله:([4])

وأنتَ الكتابُ المبينُ الَّذى ☆☆ بِأَحْرُفِهِ يَظْهَرُ المُضْمَرُ

فطابق بين الفعل "يَظْهَرُ" والاسم "المُضْمَرُ".

طباق الإيجاب والسلب:

إذا كان طباق الإيجاب – وما مرعرضه من شواهد وأمثلة كان الطباق فيها موجبا –هو: ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا– فإن طباق السلب

([1]) سورة البقرة:من الآية:٢٦٠.

([2]) الديوان:٢٧.

([3]) الديوان:١٥٢.

([4]) السابق:٧٢.

هو ما اختلف فيه الضدان بين الإيجاب والسلب، إلا أن العلماء انقسموا فريقين حيال حديثهم عنه، ففريق أدخل السلب والإيجاب فى إطار الطباق، والآخر جعله قسما مستقلا من أقسام البديع، وتجد قدامة بن جعفر متزعما الفريق الأول ، حيث سمى الطباق بالمكافأة، ومثل له بقول الفرزدق:([1])

لَعَمرِي لَئنْ قَلّ الحَصَى في بيوتكُم☆☆ بَنـي نَهْشَلٍ ما لُؤْمُكُمْ بِقَلِيلِ

فبين "قل" و"ما بقليل" طباق، وأحد الضدين مثبت والآخر منفي. وقد عقب على قول الفرزدق السابق بقوله "فهذا ضرب من المكافأة من جهة السلب"([2])

هذا وكان من المتأخرين الذين تبعوا قدامة فى النص على طباق الإيجاب والسلب صاحب منهاج البلغاء وسراج الأدباء حيث قال "وقد تكون المطابقة بالإيجاب والسلب"([3]) ومثل بقول البحتري:([4])

تُقَيّضُ لي من حيثُ لا أعلَمُ النّوَى ** وَيَسْرِي إليّ الشّوْقُ من حَيثُ أعلَمُ

وعلى الدرب نفسه سار القزويني حيث أورد السلب والإيجاب فى

([1])ديوانه، شرح وضبط:على فاغور:٤٣٩- دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط أولى – ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.

([2]) نقد الشعر:١٤٩.

([3]) حازم القرطاجني، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة:٥٠ – ط دار الكتب الشرقية – تونس ١٩٦٦م.

([4])ديوانه، تصحيح/عبد الرحمن البرقوقي:٢٢٩/١- مطبعة هندية بالموسكى – مصر- ١٣٩٢هـ ، ١٩١١م.

الطباق وأطلق عليه طباق السلب، وعرفه ومثل له ([١]).
ومن شواهد الطباق بين اسمين عن طريق السلب:
قوله تعالى"صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ"([٢])

ومنه قول علي:([٣])

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ☆☆ ليسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كان أبي

وقوله:([٤])

ليس البليّةُ في أيامنا عجبًا ☆☆ بل السلامة فيها أعجب العجب

لَيْسَ الجَمَال بأثْوابٍ تُزَيِّنُنَا ☆☆ إن الجمال جمال العلم والأدب

ليس اليتيم الذي قد مات والده ☆☆ إنَّ اليَتيمَ يَتيمُ العِلْمِ والأدَب

ومن طباق السلب بين مختلفين (اسم وفعل):

قوله عزوجل "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ"([٥]) إذ بين الفعل المثبت "آمَنَّا"، وبين الجملة الاسمية المنفية "مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ" طباق. ومنه قول علي من الطويل فى مقام حديثه عن مآل قلة المال وكثرته:([٦])

([١]) الإيضاح:٣١٩.
([٢]) سورة الرعد من الآية:٤.
([٣]) الديوان:
([٤]) الديوان:٢٨.
([٥]) سورة البقرة:٨.
([٦]) الديوان:٢٧.

يُغَطِّي عُيوبَ المَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ ☆☆ يُصَدَّقُ فِيمَا قَالَ وَهْوَ كَذُوْبُ

وَيُزْرِي بِعَقْلِ المَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ ☆☆ يُحَمِّقُهُ الأقْوَامُ وَهْوَ لَبِيْبُ

كما وقع طباق السلب بين الحروف:

فمن ذلك ما جاء فى الكامل فى اللغة والأدب "قال رجل لأبي بكر الصديق رحمه الله: لأسبنك سبًّا يدخل معك قبرك، فقال: معك والله يدخل لا معي"(١) فبين "مع" الأولى وهى مثبتة، و"لا معى" الثانية وهى منفية طباق.

ومن هذا القبيل المثل العربي المشهورالذى ورد على لسان الزَّبَّاء "بيدى لا بيد عمرو" فحرف "الباء"- هنا- جاء مرة مثبتا، ومرة منفيا، وبهذا يتضاد معنياه(٢).ومنه قول علي:(٣)

إليكَ رَبِّى لَا إلى سِوَاكَا☆☆ أقْبَلْتُ عَمْدًا أبْتَغِى رِضَاكَا

فحرف "إلى" ورد مرة مثبتا، ومرة منفيا، وبذلك يحدث التضاد. أما عن الفريق الثانى الذى جعل السلب والإيجاب قسما مستقلا يندرج تحت البديع، فمنهم أبو هلال العسكري الذى عقد له الفصل السادس والعشرين من الباب التاسع فى كتابه الصناعتين سماه السلب

---

(١) للمبرد، تحقيق/محمد أبو الفضل إبراهيم:٣/٦١ – دار الفكر العربي – القاهرة – ط ثالثة – ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

(٢) دراسات فى علم البديع:٣١.

(٣) الديوان:١١٦.

والإيجاب([١])، والتبريزي تحدث عن الطباق الذى يكون بالنفى([٢]) ، ثم أفرد السلب والإيجاب بنوع مستقل ([٣]).

هذا وقد أدخل بعض العلماء فى طباق السلب المعنيين المتضادين المنفيين، يقول ابن أبى الإصبع عن هذه الصورة من طباق السلب: "وطباق السلب هو أن يأتى المتكلم بجملتين أو كلمتين إحداهما موجبة، والأخرى منفية، وقد تكون الكلمتان منفيتين"([٤]) ومثل لذلك بقول الفرزدق:([٥])

قَبَّحَ الإِلَهُ بَنِي كُلَيْبٍ إِنَّهُمْ ... لايَغْدِرُونَ ولا يَفُونَ لِجَارِ

يستيقظونَ إلى نَهِيقِ حِمَارِهِمْ ... وتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الأَوْتَارِ

فبين كلمتي "لا يغدرون" و"لا يفون" طباق، وكلتاهما منفية لكون الدلالة المنفية مضادة للأخرى المنفية أيضا. وقد سبقه ابن فارس فى الإشارة إلى هذا النوع؛ وذلك عندما عقد فى كتابه الصاحبى بابا بعنوان "باب نفى الشيء جملة من أجل عدم كمال صفته"، فقال: "قال الله- عزوجل- فى صفة أهل النار "لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى"([٦]) فنفى عنه الموت؛لأنه ليس

([١]) كتاب الصناعتين ، تحقيق/على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم:٤٢١- ط دار إحياء الكتب العربية – د.ت.

([٢]) الكافى:١٧١

([٣]) السابق :١٨٤.

([٤]) تحرير التحبير:١١٤.

([٥]) ديوانه:٣١١.

([٦]) سورة طه من الآية:٧٤.

بموت مريح، ونفى عنه الحياة؛ لأنها حياة ليست بحياة طيبة ولا نافعة، وهذا فى كلام العرب كثير"([1]). وباستقراء وتتبع هذا النوع من الطباق فى ديوان علي بن أبى طالب وجدت تلك الصورة عنده، فمن ذلك قوله:([2])

رأيت الدهر مختلفًا يدورُ ☆☆ فَلاَ حزْنٌ يَدُومُ ولا سُرُوْرُ

وكذلك قوله:([3])

فما نُوَبُ الحوادث باقيات ☆☆ ولا البؤسى تدوم ولا النعيم

([1]) الصاحبى فى فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق/ السيد أحمد صقر:٤٣٥- ط عيسى البابى الحلبي – د.ت،

([2]) الديوان:٨٢.

([3]) السابق:١٤٢.

الطباق الخفي أو المعنوي:

والطباق الخفي أو المعنوي ما يقابل الظاهر، وهو مما يحتاج إلى دقة وطول نظر، وتأن فى استكناه واستنباط الطرف الثانى لخفائه؛ لأن المقابلة تكون فيه بين الشيء وضده فى المعنى لا فى اللفظ كالسابق. وذكر الخطيب شاهدين له لا ثالث لهما، وهما: الأول: قوله تعالى "مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا"(١)، وقال إن الطباق بين "أُغْرِقُوا" و" أُدْخِلُوا نَارًا".

والشاهد الثانى فى قول أبى تمام:(٢)

مَهَا الوَحْشِ إلا أنَّ هَاتَا أوَانِسٌ ☆☆ قَنَا الخَطِّ إلاَّ أنَّ تِلْكَ ذَوَابِلُ(٣)

ثم قال طابق بين "هاتا" و"تلك"(٤)؛ وذلك على اعتبارأن إحداهما للبعيد والأخرى للقريب، أو على اعتبار أن إحداهما للحاضر والأخرى للغائب. وممن أشارإلى الخفاء فى الطباق من القدماء ابن رشيق القيرواني، وذلك فى قوله "وعدَّ ابن المعتز من المطابق قوله تعالى "وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ

---

(١) سورة نوح من الآية:٢٥.

(٢) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق/ محمد عبده عزام:١١٦/٣– ط الرابعة – دار المعارف – د.ت.

(٣) قال الصولي فى شرحه: يقول هن كبقر الوحش فى تهاديهن، وحسن عيونهن، وهن كقنا الخط فى القد، إلا أن القنا ذوابل وهن طراء، وقيل للقنا ذوابل؛لأنها تلين عند الطعن فلا تنكسر، ينظر:هامش ديوان أبى تمام بشرح التبريزى:١١٦/٣.

(٤) الإيضاح:٣١٩.

حَيَاةٌ"([1]);لأن معناه: القتل أنفى للقتل، فصارالقتل سبب الحياة، وهذا من أملح الطباق"([2]) ومن ثم ألحق أكثر البلاغيين هذا النوع بالطباق. ومن أمثلة ذلك النوع عند علي بن أبى طالب:([3])

وجميعُ ما حَصَّلْتَهُ وَجَمَعْتَهُ ** حَقًّا يَقِينا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ

فالذى يقابل الجمع التفريق، والشاعر هنا لم يجمع بين الجمع والتفريق، بل جمع بين الجمع وما يتعلق بالتفريق وهو "النهب". ومنه قوله:([4])

فَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِيَعِيشَ يُسْرَةً☆☆ فَسَوفَ لَعَمْرِى عَنْ قَلِيْلٍ يَلُومُهَا

فالذى يقابل الحمد الذم ، وهو هنا لم يجمع بين الحمد والذم ، بل جمع بين الحمد وما يتعلق بالذم وهو "اللوم".

ما يلحق بالطباق:

مما مرإيراده بأن التضاد يقع بين الألفاظ والمعانى، أو بين المعانى وحدها، فإذا ما تخلف أحد هذه الأمور صار التضاد من قبيل الملحق بالطباق. وقد ألحق الخطيب القزويني بالطباق صورتين: الصورة الأولى : هى الجمع بين أمر وما يتعلق بمقابله، كما فى قوله تعالى"مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ"([5]) فما

([1]) سورة البقرة من الآية:١٧٩.

([2]) العمدة:٩/٢.

([3]) الديوان:٤٤.

([4]) السابق:١٤٠.

([5]) سورة الفتح من الآية:٢٩.

يقابل الشدة اللين، والآية لم تجمع بين الشدة واللين بل جمعت بين الشدة وما يتعلق باللين وهو الرحمة ، واختيرت الرحمة على اللين؛لأنها محببة إلى النفوس، والمرء يتعلق بها ويرجوها ، أما اللين فإنه يوحى بالضعف والرخاوة، وهذا أمر مستكره فى المسلم([1]).

الصورة الثانية: إيهام التضاد، وهو التعبيرعن معنيين غير متقابلين بلفظين يتقابل معناهما الحقيقيان، مثل قول دعبل الخزاعي:([2])

لا تَعجَبي يا سَلمُ مِنْ رَجُلٍ ☆☆ ضحكَ المشيبُ برأسهِ فبكى

فضحك المشيب المراد به- هنا- ظهور الشيب ظهورا تاما، ولا تقابل بين البكاء البكاء وظهور الشيب (المجازي)، وإنما التضاد والتقابل بين البكاء والضحك الحقيقى لا المجازى المراد هنا.

طباق التدبيج:

وهو نوع من أنواع الطباق خاص بالتقابل بين الألوان، والدبج: النقش والتزيين من قولك: دبج المطر الأرض: زيَّنها بالرياض ([3]). وعرفه ابن أبى الإصبع بقوله: "وهو أن يذكر المتكلم ألوانا بقصد الكناية بها والتورية بذكرها عن أشياء، من وصف، أو مدح، أو هجاء، أو نسيب، أو غير ذلك من الفنون، أو لبيان فائدة الوصف بها ([4]). ويفهم من التعريف السابق أن يكون ذكر الألوان بقصد الكناية والتورية،

([1]) ينظر الإيضاح:٣٢٠، ودراسات فى البديع:٧٠.

([2]) ديوانه:٢٢٨.

([3]) لسان العرب: مادة"دبج".

([4]) تحريرالتحبير:٥٣٢ – وبديع القرآن:٢٤٢.

أما بقاؤها على حقيقتها فلا يدخل فى إطار التدبيج، وفى هذا الشأن يقول العلامة الدسوقي: "واحترز بقوله لقصد الكناية أو التورية عن ذكر الألوان لقصد الحقيقة فلا تكون من المحسنات؛ لأن الحقيقة يقصد منها إفادة المعنى الأصلي، وعن ذكرها لقصد المجاز كأن يذكر ألوانا، وينصب قرينة تمنع عن إرادتها، بحيث لم يتحقق الجمع بين الألوان إلا فى اللفظ دون المعنى، فلا يكون ذلك من المحسنات المعنوية بل اللفظية، كذا ذكره العلامة عبدالحكيم، وذكر بعضهم أن ذكر الألوان باقية على حقيقتها لا يمنع التدبيج كما فى قوله:

منثور دمعى غدا أحمرا ☆☆ على آسى عارضك الأخضر"(١). والمقصود من الألوان ما دون الأبيض والأسود؛ لأن بينهما تضادًا على الحقيقة. وإذا كان الطباق يتحقق بالألوان لقصد الكناية والتورية فإنه يتحقق بذكر الألوان دون قصد الكناية أو التورية، وفى هذا الصدد يقول أحد الدارسين: "وإذا نظرنا إلى الألوان فى إطار الطباق كما هو أصل نشأتها، وكما هو نهاية مطافها، فإننا نجد أن الأمر فيها قائم على الجمع بين الألوان، وأن قدامى العلماء بنوا الأمر فى الجمع بينها على المخالفة، والمخالفة تدخل فى الطباق توسعا أو تقترب من التضاد، وإرادة الكناية أو التورية بها ليست هي التي تحقق فيها وجه المخالفة، إن مجرد ذكر الألوان يحقق المخالفة، ويدخلها فى دائرة الطباق توسعا، أو يجعلها قريبة من التضاد"(٢) .

---

(١) حاشية الدسوقي :٢٩١/٤(ضمن شروح التلخيص)

(٢) دراسات فى البديع:٦٣.

ترشيح الطباق:

الترشيح فى اللغة بمعنى التقوية، والطباق المرشح هو أن يوجد بجانب التضاد بين المعنيين صورة أخرى من صور البديع، أو لون من ألوان البلاغة، وبذلك يكتسى الكلام الطلاوة والبهاء، ويزداد وضوحا وبيانا. من ذلك قوله تعالى "وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا"([1])، ففى القول الكريم طباق بين الخوف والطمع، ويوجد بجانب الطباق حسن التقسيم، إذ ليس فى رؤية البرق إلا الخوف من الصواعق، والطمع فى الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين. ومنه قول علىٍّ:([2])

خذلت نبيا خير من وطئ الحصى ☆☆ فَكُنْتَ كَمَنْ بَاعَ السَّلَامَةَ بِالْعَطَبْ

فبين السلامة والعطب طباق، وفى ثنايا ذاك الطباق تشبيه، حيث شبه حال ذاك الذى بدر منه الخذلان لخير الخلق بحال من باع السلامة بالهلاك. ومنه قوله أيضا:([3])

كُدَّ كَدَّ العبد إن ☆☆أحببت أن تصبح حرا

حيث احتوى البيت على التشبيه بالمصدر، علاوة على الطباق بين العبد والحر.

وقوله:([4])

([1]) سورة الروم من الآية:٢٤.

([2]) الديوان:٢٥.

([3]) السابق:٨٠.

([4]) السابق:٦١.

قد بلغ الزرع منتهاه ☆☆ لابد للزرع من حصاد

وقد احتوى البيت على الطباق بين الزرع والحصاد، وكانت الكناية عن نهاية العمر بالحصاد متخفية فى الشطر الثانى من البيت.

****

المبحث الأول

الطباق بين الأسماء فى شعر علي بن أبى طالب رضى الله عنه

احتوى شعر علي بن أبى طالب – رضى الله عنه – على صور جمة من الطباق بين الأسماء، وقد ورد فى مقامات متنوعة متعددة، حتى شمل كل الأقسام التى ذكرها البلاغيون للطباق بين الأسماء، فورد موجبا، وسالبا، وخفيا أو معنويا، وكان– رضى الله عنه– ينهل من معين ثر صاف– ولِمَ لا وقد صحب أفصح العرب – عليه السلام– فمن ثم أتى طباقه عفويا غير متكلف ساير به المقام وما اقتضاه الحال، وقد استعان به فى إبراز محبة ومكانة النبي – صلى الله عليه وسلم– والحث على العلم والتمسك بالدين ، ومجافاة الدنيا، والصبر على البلاء، وأداء الأمانة، إلى غير ذلك مما سيفصح عنه هذا البحث بمشيئة الله تعالى، ومن خلال ما نعرض له من نماذج شعرية للطباق بين الأسماء وهى كما يلى:

(أ) الطباق بين الأسماء عن طريق الإيجاب:

فمن ذلك قوله – من الطويل – فى مقام حديثه عن خبرته بالدهر:([1])

بَلَوْتُ صُرُوْفَ الدَّهْرِ بِتِّيْنَ حِجَّةً ☆☆ وجربت حاليه من العسر واليسرِ

فلم أرَ بعد الدين خيرًا من الغنى ☆☆ ولَمْ أرَ بَعْدَ الكُفْرِ شَرا مِنَ الفَقْرِ

الإمام هنا يهب لنا خلاصة تجربته مع الدهر، فعن طريق الاستعارة المكنية يكشف لنا أنه اختبر تقلبات الزمان وجرب حاليه فى العسر

([1]) الديوان:٧٩.

واليسر ستين سنة، فوجد أن خير ما فيه بعد الدين الغنى، وشر ما فيه بعد الكفر الفقر.

والطباق – هنا – جاء بين الاسمين "العسر واليسر" مبرزا أخص حالتين من حالات الدهر، فالإنسان فى هذا الزمان بين يسر وعسر، وقد أتى الطباق فى ثياب صورة من صور الإطناب، وهو ما يعرف بالتوشيع، حيث ذكر حالين مبهمين، ثم فسرهما بالمثنى "العسر واليسر"، فأحدث ما أحدث من التشويق والتشوف.

وكما استعان بالاستعارة المكنية والتوشيع استعان بالمقابلة التى احتواها البيت الثانى، حيث قابل ما جاء فى الشطرالأول من: الدين، والخير، والغنى، بما ورد فى الشطر الثانى من: الكفر، والشر، والفقر، والحق أن تلك المقابلة هى بمثابة الترجمة للطباق بين العسر واليسر، فقد ألمح إلى العسر بالفقر، وألمح إلى الغنى باليسر. وقد كشف لنا البيت الأول عن عُمر خليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين قال هذا البيت وهو بلوغه ستين سنة، الأمر الذى يشير إلى عمق التجربة، تجربته واختباره للدهر، وصواب ما وصل إليه .
وفى مقام حديثه عن طبيعة الدنيا يقول من البسيط:([1])

يا طَالِبَ الصَّفْوَ فى الدُّنيَا بِلا كَدَرٍ ☆☆ طَلَبْتَ مَعْدُومَةً فَايْأَسْ مِنَ الظَّفَرِ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَاعُمِّرْتَ مُمْتَحَنٌ ☆☆ بِالخَيرِ وَالشَّرِّ وَالمَيْسُورِ وَالعُسَرِ
أَنَّى تَنَالُ بِهَا نَفْعًا بِلَا ضَرَرٍ ☆☆ وَإِنَّهَا خُلِقَتْ لِلنَّفْعِ والضَّرَرِ
فِى الجُبْنِ عَارٌ وَفِى الإِقْدَامِ مَكْرُمَةٌ ☆☆ وَمَنْ يَفِرَّ فَلَنْ يَنْجُوَ مِنَ القَدَرِ

([1]) الديوان:٨٤.

فى الأبيات السابقة تجد الشاعر وقد أتى بثلاث صور من الطباق، ففى البيت الثانى طباقان بين اسمين عن طريق الإيجاب، حيث طابق فى الأول منهما بين "بالخير" و"الشر"، وطابق فى الثانى بين "الميسور" و"العسر" وطابق فى البيت الثالث بين النفع والضرر فى قوله "لِلنَّفْعِ والضَّرَرِ"، والوشيجة التى جمعت بين منظومة الطباق السابقة هى إبرازحال الدنيا ، وهى أنها ليست مجبولة على دوام الصفاء، بل صفوها مشوب بالكدر، وأنها دار ابتلاء بالخير والشر، واليسر والعسر، وأنها دار أسست على النفع والضرر.

وقد اتكأ الشاعرعلى عدة أساليب تقوية لأنواع الطباق الواردة فى الأبيات. فالنداء الذى استهل به الأبيات "يا طَالِبَ الصَّفْوَ...الخ" أفاد معنى التنبيه، وكأن المنادى غافل لاهٍ عن طبيعة الدنيا. والكناية عن الدنيا فى قوله "مَعْدُومَةً" تتآزر ومعنى النداء. والأمر "فَايْأَسْ" أفاد التيئيس من الظفر بدنيا صافية بلا كدر وبلا منغصات، فقد أفصح الأمر بمبناه ومعناه على ذلك، أما الأمر "وَاعْلَمْ" فإنه يلتمس منه العلم بأن بقاءه فى الدنيا إنما هو للابتلاء والامتحان بكل من الخير والشر، واليسر والعسر.

وتأمل صيغة الماضى المبني للمجهول "عُمِّرْتَ" وما أبانت عنه من طي العمر والزمن طيا، فعمرك- على طوله- امتحان وابتلاء. وفى تقديم الخيرعلى الشر والميسورعلى العسرإيحاء بالتفاؤل وبث البشر فى النفوس. والاستفهام المراد به الاستبعاد فى أول البيت الثالث يؤكد به الشاعر حقيقة الدنيا وذلك فى قوله "أَنَّىَ تَنَالُ بِهَا نَفْعًا بِلَا ضَرَر"، وأكدها

أيضا فى الشطر الثانى من البيت نفسه بقوله "وَإِنَّهَا خُلِقَتْ لِلنَّفْعِ والضَّرَر".

والحق أنه ما من إنسان إلا ويعلم حقيقة الدنيا، ولكنك تجد الشاعر هنا نزَّل مخاطبه- إن كان ثمة مخاطب - منزلة من يجهل تلك الحقيقة أو يتعامى عنها، ففى القول خروج للكلام عن مقتضى الظاهر، وكان هذا الخروج أدعى لهذا المخاطب أن ينزجر ويرعوى، ويكون على ذكر دائم بحقيقة دنياه، فلا يرجو فيها صفوا بلا كدر، ولا خيرا بلا شر، ولا نفعا بلا ضرر.

والبيت الأخير يأتى بمثابة النتيجة الطبيعية للمعانى السابقة، أي إذا كان ذلك هو حال الدنيا فلِمَ يجبن الإنسان، ولِمَ يحجم عن الإقدام، حيث قال "فِى الجُبْنِ عَارٌ وَفِى الإِقْدَامِ مَكْرُمَةٌ"، وقد أخرج هذا المعنى بطريق المقابلة، التى بدورها صورت المعنى أتم تصوير. وتجد الشطرالثانى من هذا البيت الأخير بمثابة حسن الختام إذ صاغه بما يشبه الحكمة، إن لم يكن الحكمة عينها، حيث قوله "وَمَنْ يَفِرَّ فَلَنْ يَنْجُوَ مِنَ القَدَرِ".

ومما طابق فيه بين العسر واليسر قوله - من الطويل - فى مقام بذل النصح:([1])

غِنَى النَّفسِ يكفى النَّفسَ حتى يَكُفَّهَا ☆☆☆ وإِنْ أعْسَرَتْ حتى يَضُرَّ بها الفَقْر

([1]) الديوان:٧٨.

فَمَاعُسْرَةٌ فاصبر لها إن لقيتها ☆☆☆ بِدَائِمَةٍ حتى يكونَ لها يُسْرُ

فى البيتين طباقان، حيث طابق فى البيت الأول بين الغنى والفقر- وإن أراد بالغنى غنى النفس، أى القناعة – وطابق فى البيت الثانى بين العسر واليسر. والسياق سياق نصح وإرشاد بالقناعة فى الدنيا وأن أي إعسارلن يدوم طويلا. وقد استعان الشاعر بأساليب عدة فى تقوية وتأكيد المراد من الطباق. فالكناية عن القناعة فى قوله "غنى النفس" أبرز ذلك أيما إبراز. ووضع المظهرموضع المضمر فى قوله "يكفى النفس" إشارة إلى إبراز الحرص على مثل تلك النفس التى تقدم لها تلك النصيحة، وفى تكرار "النفس" إفصاح عن مزيد الشفقة والحرص عليها. وفى قوله "حتى يكفها" إيجاز قصر أغنى عن مزيد تفصيل وإطناب. وقد وصل بين الجملتين – بين شطري البيت الأول – لاتفاقهما فى الخبرية لفظا ومعنى وهو ما يسمى بالوصل للتوسط بين الكمالين.وقوله "وإنْ أَعْسَرَتْ حتى يَضُرَّ بها الفَقْر" أي أن القناعة تمنع النفس من أشياء جمة حال عسرها حتى وإن بلغ بها الفقرفى ضرها مبلغا عظيما. "ومجيء الشرط بـ"إن" دون "إذا" أبان أنه غير مقطوع بوقوعه"[١] فكشفت عن قلة وندرة الإصابة بالإعسار.

والاستعارة المكنية فى قوله "يضر بها الفقر" أفصحت عما يحدثه الفقر فى تلك النفس القنوعة من ضر شديد.

---

[١] ينظر : الإيضاح:٨٨/١ ، وخصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني- د/ محمد أبوموسي:٢٩٢ –مكتبة وهبة – ط ٤- ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

وأتت الفاء فى قوله "فما عسرة" كاشفة عن سرعة الانتقال بالحديث من أمر إلى آخر، فالفاء هنا بمثابة "الرباط الذي يربط أجزاء المعاني بعضها ببعض"([١]). وفى تكرار أسلوب الشرط بـ"إن" مع العسر قائلا: "فَمَاعُسْرَةٌ فاصبر لها إن لقيتها بِدَائِمَةٍ" دلالة على قلة الإصابة بالعسر، وفى ذلك ما فيه من بث الأمل والطمأنينة فى روح المنصوح. ويجيء الاعتراض بجملتي" فاصبر لها" و" إن لقيتها" مفصحا عن الرفق والتلطف بالمخاطب، والأمر"فاصبر" أبان عن معانى النصح والإرشاد. هذا ويمكن أن يكون بين البيتين التفات من الغائب إلى المخاطب، ومما لا يخفى أن الالتفات طبع وسجية عند عليٍّ- رضى الله عنه - بل عند العرب عموماً ، فهو يجيء - كما قال الزمخشري - "على عادة افتتانهم في الكلام وتصرفهم فيه؛ ولأنَّ الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع ، وإيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"([٢]). وتلحظ دقة الشاعر التعبيرية فى طباق البيت الثاني حيث أتى بكلمة "عسرة" ببناء المرة، بينما فى المقابل ذكر "اليسر" بصيغة المصدر، دالا على الكثرة، وهذان البناءان يحملان ما يحملان من البشارة والأمل للمخاطب ولكل معسرمن بعده. ولعلك تسمع صوت الموسيقى نابعة من داخل هذين البيتين؛وذلك من خلال الجناس الناقص بين "يكفى"

([١]) قراءة في الأدب القديم ، د/محمد أبو موسى:٤٦- دار الفكر العربي- ط أولى، ١٩٧٨م.

[٢] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري - تحقيق /عبد الرازق المهدي:٥٦/١،
دارإحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

و"يكفها"، ومن خلال تكرار حرف الفاء فى البيتين سبع مرات، وغيرخاف أن "تكرار حرف بعينه في كلمات البيت يضفي على الكلام قدراً من العذوبة والسلاسة"(١).

وفى سياق الحث على الصبرعند الإعسار يأتى قوله من البسيط(٢):

اصْبِرْ قَلِيلاً فَبَعْدَ العُسْرِ تيسيرُ ☆☆ وَكُلُّ أمْرٍ لَـهُ وَقْتٌ وتَدبيرُ

وَلِلْمُهَيْـمِنِ فى حَـالاتِنَا نَظَـرٌ ☆☆ وفَـوْقَ تَقْـدِيرِنَا لله تَقْدِيـرُ

بعد استقراء الديوان كاملا وقراءته بتأن أكثر من مرة ألفيت الشاعر مكثرا من الحديث عن اليسر والعسر- بإيراد مادتيهما بتقلباتهما اللغوية المتعددة من قبيل:عسر، وعسرة ، وإعسار، وأعسرت، ويسر، وميسور، وتيسير- والفقر والغنى، والصفو والكدر، والتزهيد فى الدنيا، وما هو سبيله نحو ذلك، وقد عزا البحث ذلك إلى الحياة الاجتماعية للشاعر، حيث قالت لنا كتب السيرة والتاريخ الإسلامي ما كانت عليه حياته من شظف وشدة، فكثيرا ما تتفجر قريحته الشعرية ويلهج لسانه بالحديث عن التصبر والتأميل لمجيء اليسر خلفا للعسر، وهذا ما حدا بالبحث - أيضا - إلى الميل بأن جل ما يسوقه فى حديثه لتلك المعانى – إن لم يكن كله – إنما يسوقه على سبيل التجريد، إذ جرد من نفسه شخصا آخر أتاح له بث شكاياته، وحثه على الرضا والتسليم بكل ما يلم به، وحثه كذلك على لزوم الصبركما هو فى هذا الموضع، فهو يدعو نفسه إلى الصبر قليلا، معللا

(١) دراسة في البلاغة والشعر، محمد أبو موسى : ٢٠٤ – مكتبة وهبة – ط أولى – ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م.

(٢) الديوان:٧٨.

ذلك بأن بعد العسر تيسيرًا، وهذا هو موضع الطباق الذى أبان عن دنو حالة اليأس والقنوط إليه، فما لبث أن يدعو نفسه إلى لزوم الصبر قليلا، وقد كشفت الفاء فى قوله " فَبَعْدَ العُسْرِ تيسيرُ" عن إسراعه فى بث البشرى والطمأنينة إلى قلبه. ووصل بين قوله "فَبَعْدَ العُسْرِ تيسيرُ" وبين قوله "وَكُلُّ أَمْرٍ لَـهُ وَقْتٌ وتَدبيرُ" للتوسط بين الكمالين لاتفاق الجملتين فى الخبرية لفظا ومعنى، وقد أعانه هذا الوصل فى تعليل نفسه بالصبر، علاوة على أن هذا الوصل يتناغى مع الالتماس للفعل "اصبر". وبقليل من التأمل والتدبر تجد أن البيت الثانى يكشف – بجلاء – أن كل ما يسوقه الشاعر فى تلك السياقات الحية المتواثبة عن اليسر والعسر، والفقر والغنى، والصفو والكدر، أن كل ذلك إنما يقصد به نفسه، ولكنه أجراه على سبيل التجريد إخفاء لحاله، وإعانة له على بث شكاياته، إذ يقول "وَلِلْمُهَيْمِنِ فى حَالاتِنَا نَظَرٌ"، وكأنه يقول وحالى يشبه حالك يا من أوجه له النصح بالصبر قليلا. واصطفاء اسم المهيمن – عز وجل – دون غيره من الأسماء الحسنى الجليلة، يتواءم والسياق الذى يهيمن على البيتين، فالحياة مجدبة معسرة، ومن ذا الذى ينظر إلى المعسرين فيحيل حياتهم إلى يسار سوى المهيمن سبحانه. وفى قوله "وفَوْقَ تَقْدِيرِنَا للهِ تَقْدِير" مشاكلة، حيث إن تقدير البشر لأمور معاشهم وحياتهم مراد به التوقع وما شابه ذلك، بينما تقديره – سبحانه – هو تدبيره أمور كونه وما فيه من مخلوقاته، فسمي ذلك تقديرا لوقوعه فى صحبته تحقيقا. وهكذا تجد الأساليب – على تنوعها – تتساوق وتتواءم

مع الطباق فى البيت. ويقول فى مقام رضاه بما يحل به من عسر ويسر من المنسرح:([١])

مَالِى على فَوتِ فائتٍ أسَفُ ☆☆ وَلا تَرَانِى عَلَيْهِ أَلْتَهِفُ ([٢])
مَا قَدَّرَ اللهُ لِى فَلَيْسَ لَهُ ☆☆ عَنِّى إلى سِوَايَ مُنْصَرَفُ
فَالحَمْدُ لله لا شَرِيكَ لَهُ ☆☆ مَا لِى قُوتٌ وَهَمِّيَ الشَّرَفُ
أنا رَاضٍ بِالعُسْرِ واليُسْرِ فَمَا ☆☆ تدْخُلُنِى ذِلَّةٌ وَلا صَلَفُ

أبدى الشاعر فى البيت الأول كامل رضاه بما يقسم له، وإن فاته شيء ذو قيمة لا يأسف، ولا يحزن عليه، ولا تراه متحسراعليه. والبيت الثانى تجده ترجمة دقيقة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "واعلم بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك" ([٣]). وفى البيت الثالث يحمد الله معلنا شهادة التوحيد نافيا الشريك عنه – سبحانه – والشاعر هنا يحمد الله على الضراء فليس له قوت يقتات به، ولكن همه الأول الشرف والسؤدد.

ويأتى البيت الأخير الذى حوى طباقين، الأول: بين اسمين عن طريق الإيجاب، حيث طابق بين "بالعسر" و"اليسر"، وقد أبان ذلك الطباق عن مدى تضاد حال الشاعر فهى موزعة بين عسر ويسر. وذكر المسند إليه "أنا" فى قوله "أنا راض" فى هذا السياق يكشف اعتداد

([١]) الديوان:١١١.

([٢]) ألتهف، منها يا لهفه: كَلِمَةٌ يُتَحَسَّرُ بها على فائِتٍ، ينظر اللسان (لهف).

([٣]) جزء من حديث طويل، وهو فى فتح الباري شرح صحيح البخاري – كتاب القدر:١/٤٩٠.

الشاعر بنفسه وبرضاه بما قسم الله – سبحانه – له. والتعبير باسم الفاعل "راض" أفصح عن معنى دوام الرضا، فالمقام مقام الرضا بالمقسوم.

والفاء فى قوله "فَمَا تدْخُلُنِى ذِلّةٌ وَلا صَلفُ" هى فاء التفريع؛ لأن هذا الكلام تفرع عن الكلام السابق، وفيها معنى العطف، والعطف هنا عطف قصة على قصة، أى عطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر، فهو لما كان راضيا بالعسر واليسر استلزم ذلك ألا يداخله ذل ولا كبر. أما الطباق الثانى ففى قوله " ذِلّةٌ وَلا صَلفُ" وقد وقع بين اسمين، والحق أن إدراك الطباق هنا فيه شيء من الصعوبة؛ لأن الذى يضاد الذلة العزة، وليس الصلف بمعنى الغرور، ولكن نظرا لما يكون – أحيانا – فى العزة من صلف وكبر وغرور صح هذا التضاد، فمن ثم هو طباق خفي أو معنوي كما يقول العلماء. هذا وقد أكد الطباق الثانى الطباق **الأول، إذ لما كان الشاعر راضيا بعسره ويسره، فمن ثم لم ولن يدخله ذلة ولاغرور، وكأن العسر هنا يقابله الذل هناك، واليسر يقابله الصلف. أي أنه فى حال عسره راض حتى لا يدخله ذلة وانكسار، وفى حال يسره راض حتى لا يعتوره صلف وكبر.**

ومما طابق فيه الشاعر بين العسر واليسر قوله من البسيط:([1])

إلهى وخلاقى وحرزى وموئلى ☆☆ إليك لدى الإعسار واليسر أفزع

([1]) الديوان:١٠٤.

وقوله من المتقارب:(١)

وكم يسر أتى من بعد عسر ☆☆ ففرج كربة قلب الشجي

وفى مقام النصح يقول من الكامل:(٢)

لا تطلبنَ معيشةً بمذلةٍ ☆☆ وَارْبَأْ بِنَفْسِكَ عَنْ دَنِيِّ المَطْلَبِ

وَإذا افْتَقَرْتَ فَدَاوِ فَقْرَكَ بِالْغِنَى ☆☆ عن كل ذي دَنَسٍ كَجِلْدِ الأجْرَبِ

يستهل الشاعر بيتيه بالنهى "لا تطلبنَ"، المراد منه النصح والإرشاد والتحذير، فهو ينصح بعدم البحث عن العيش الممزوج بالمذلة والهوان، فلموت فى عزة وكرامة أشرف بكثير من حياة ذليلة. والتنكير فى قوله "معيشةً" كشف عن حقارتها ودناءتها، والتنوين فى كل من "معيشة" و"بمذلةٍ" أعان الشاعرعلى إطلاق صيحات النصح والتحذير. والأمر فى الشطر الثانى من البيت "وَارْبَأْ" أبان عن النصح والتحذير أيضا، فهو يحذره وينصحه بالبعد عن المطالب الدنيئة التى توردة موارد المذلة والهوان. والإضافة فى قوله "دَنِيِّ المَطْلَبِ" للإيجاز والاختصار، وقد قالوا "إنَّ التعريف بالإضافة يكون لأنّه ليس للمتكلم طريق إلى إحضاره في ذهن السامع سوى ذلك، رغبة في الإيجاز" [٣] فضلا عن تحقير المضاف إليه.

وأتى الطباق فى البيت الثانى بين الفقر والغنى حيث قوله "وَإذا افْتَقَرْتَ فَدَاوِ فَقْرَكَ بِالْغِنَى...البيت"، والطباق هنا بين مختلفين من حيث الحقيقة والمجاز فالمعنى الأول "فقرك" حقيقي، والمعنى الثانى "بالغنى" مجازي، إذ

---

(١) الديوان:١٦٠.

(٢) السابق:٢٦.

[٣] ينظر: مفتاح العلوم:١٨٦.

يراد به القناعة والترفع عن الطلب من أهل الدنايا. وقد اتكأ الشاعرعلى أسلوب الشرط فى بناء الطباق، وفى صياغة البيت على الشرط وجوابه ما يضفى على معناه من الصدق والتأكيد ما يضفى، علاوة على ما فيه من إحكام وقوة بنيان فيكون كلوحة واحدة متآزرة. وأتت "الفاء" فى قوله "فداو" لربط الشرط بالجزاء، كما أنها صورت العجلة والتتابع السريع لذلك المعنى الحبيس فى صدر الشاعر. والطباق فى البيت طباق مرشح لاحتواء البيت على صور بلاغية أخرى كالاستعارة التصريحية التبعية فى قوله "فداو فقرك"، حيث شبه معالجة الفقربالمداواة، واشتق من المداواة فعل الأمر "فداو" وصورة ثانية تمثلت فى تشبيه الفقر بالمرض على طريق المكنية، وصورة ثالثة صورة التشبيه فى قوله "عن كل ذي دَنَسٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ"، حيث شبه ذا الدنس الذى عدم الإحساس بحال الفقراء والمعوزين بجلد الأجرب، وفى التشبيه بشاعة تحمل الفقير حملا إلى عدم الركون إلى أمثال هؤلاء وسؤالهم. وفى المقام نفسه يقول من مخلع البسيط:

قَدْ كنت مَيْتًا فَصِرْتَ حَيا ☆☆ وَعَنْ قَلِيلٍ تَصِيرُ مَيْتَا

بَنَيْتَ بِدَارِالفَنَاءِ بَيْتًا ☆☆ فَابْنِ لِدَارِ البَقَاءِ بَيْتَا

فى البيتين طباقان مرشحان، حيث طابق فى البيت الأول بين "ميتا" و"حيا"، إذ المراد بقوله "ميتا" فى الشطر الأول الكناية عن وجوده فى عالم الذر قبل وجوده مخلقا فى الدنيا، فكأنه فى حكم الميت، والمراد بقوله "حيا" كناية عن ولادته ووجوده فى هذه الدنيا وطابق فى البيت الثانى بين "دار الفناء" وهو كناية عن الدنيا، وبين "دارالبقاء" وهو كناية عن الآخرة، والمراد ببناء البيت فى الآخرة هو العمل الصالح.

هذا وقد حشد الشاعر لتقوية طباقيه ما حشد من الأساليب، حيث استهل البيت الأول بتأكيد الحقائق التى سيبثها فعبر بـ"قد" التى للتحقيق، ثم استعان بـ"الفاء" فى قوله "فصرت حيا" ليطوى فترة عالم الذر إلى عالم الوجود فى سرعة خاطفة، وترى الطباقين واردين عفو الخاطر وبلا تكلف فكانا "وفاء بالمعنى ووفاء بالإيقاع" [١]. ووصل الشاعر بين شطري البيت الأول لما بينهما من ترابط وثيق فى المعنى، علاوة على اتحادهما فى الخبرية لفظا ومعنى.

وفى قوله "عن قليل" إيجاز بالحذف، ففيه حذف للموصوف، والتقدير "وعن زمن قليل"، وقد كشف الإيجاز هنا عن السياق المحتدم الذى يحياه الشاعر مع من ينصحه. وتأمل "الفاء" فى قوله "فابن" وربطها أجزاء الكلام بعضه ببعض، وأفاد الأمر هنا معنى النصح والإرشاد. والشاعرهنا تخاله ممتلكا ناصية البيان، فانظر إلى تنوعه فى صياغة الأفعال ذات المادة الواحدة، فتارة ينوع بين الماضى والمضارع من مثل قوله "صرت" و"تصير" وتارة بين الماضى والأمر من مثل قوله "بنيت" و"فابن"، مما شكل جوا موسيقيا يأسر قلب المنصوح قبل أذنه فيصيخ إلى النصح ويستجيب. ويقول الشاعر فى مقام فراغه من حرب الجمل من الرجز:([٢])

إليكَ أشْكُو عُجَرِي وَبُجَرِي ... وَمَعْشَرًا غَشُّوا عَلَيّ بَصَرِي

---

[١] البديع تأصيل وتجديد:منير سلطان: ١١٩- منشأة معارف الإسكندرية - ١٩٨٦ .

([٢]) الديوان:٧٢، ٧١.

قَتَلْتُ مِنْهُمْ مُضَرًا بِمُضَرِي ... شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعْشَرِي

أورد ابن كثير أنه "بعد انتهاء موقعة الجمل دار علي – رضى الله عنه – بين القتلى فرأى طلحة بن عبيد الله – رضى الله عنه – مقتولاً ومُضْرَجًا فى دمائه، فجعل يمسح عن وجهه التراب وقال: رحمة الله عليك أبا محمد، يعز عليَّ أن أراك مجدولا تحت نجوم السماء، ثم قال: إلى الله أَشْكُو عُجَرِي وَبُجَرِي ...البيتين، والله لوددت أني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة" (١).

وفى لسان العرب لكلمتي"عُجَرِي وَبُجَرِي"معنيان: أحدهما "العُجَرُ: العروقُ المُتَعَقِّدَةُ في الظهر، والبُجَرُ: العروق المتعقدة في البطن، ثم نقلا إلى الهموم والأَحزان، أَراد أَنه يشكو إِلى الله تعالى أُموره كلها ما ظهر منها وما بطن"(٢).

وعلى هذا المعنى يكون بين الكلمتين طباق بين الظاهر والباطن، وهو طباق مرشح لسببين:

---

(١) البداية والنهاية، تحقيق/علي شيري:٢٧٦/٧– دار إحياء التراث العربي – ط أولى – ١٤٠٨هـ ،
١٩٨٨م(بتصرف قليل).

(٢) والمعنى الآخر ورد فى قوله " إذا كانت في السُّرَّة نَفْخَةٌ فهي بُجْرَةٌ، وإِذا كانت في الظهر فهي عُجْرَةٌ، قال: ثم ينقلان إِلى الهموم والأَحزان قال: ومعنى قول علي– كرم الله وجهه– أَشْكُو إِلى الله عُجَرِي وبُجَرِي أَي همومي وأَحزاني وغمومي. ينظر :اللسان، مادة:بجر.

الأول: أنه أتى متكئا على الجناس بين "عُجَرِي وَبُجَرِي"، حيث اختلف نوعا الحرفين "العين" و"الباء" فى أول الكلمتين، وهو جناس لاحق؛ لأن الحرفين غيرمتقاربين.والثانى: مجيء الطباق بين حنايا القصر الوارد بطريق التقديم "إليكَ أَشْكُو عُجَرِي وَبُجَرِي" فهو إلى الله – لا إلى غيره – يفزع ويشكو ما ألم بظاهره وباطنه، ويكشف الطباق والقصر عن نفس كاد الحزن أن يقتلها، ولا أدل على ذلك من قول الشاعر بعد قوله هذين البيتين "والله لوددت أني كنت مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة". ولم يزل الشاعر يستعين بالأساليب فى إبراز وتأكيد معنى الطباق، ففى الشطر الثانى للبيت الأول إيجاز بالحذف، حيث حذف جملة "إليك أشكو" دل على ذلك ذكره إياها أول البيت، والتقدير: وإليك أشكو معشرا...الخ، وفي هذا الحذف تأكيد للحالة النفسية المتردية لديه، كما أن له قيمته البلاغية فهو "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكرأفصح من الذكر"(١). وتكرار القصر مذكورا ومحذوفا يعد "وسيلة مشروعة في لغة الانفعال... والقرآن وهو المثل الأعلى في لباقة الصوغ وفي الكلام يجرى أسلوبه على هذه الطريقة"(٢). والتنكير فى "معشرا"– والمراد قومه – يوحى بحنقه وضيقه لما يبدر منهم تجاهه، فلم يكن يتوقع قتالهم أبدا، وهذا التنكير أتاح له أن يصفهم بقوله "غَشُّوا عَلَيّ بَصَرِي"، وهو كناية عما أصابه من ذهول لفعالهم تجاهه. ولا يخفى أن التنوين فى "مَعْشَرًا" أعانه على إطلاق نغمات الأسى والحسرة اللذين يعتملان فى صدره، كما أن التشديد فى قوله "غَشُّوا" يتناغى وحالته

---

(١) كتاب دلائل الإعجاز:١٢١ .

(٢) قراءة في الأدب القديم:١٣٩.

النفسية السيئة. وتقديم الجار والمجرور فى قوله "عَلَيّ بَصَرِي" فيه إشارة قوية إلى بيان حال الشاعر النفسي الذى آل إليه.

هذا وقد كرر الشاعر فى هذا البيت حرف العين ثلاث مرات، وكذلك حرف الشين، وإذا كان "تكرار حرف بعينه في كلمات البيت يضفي على الكلام قدرًا من العذوبة والسلاسة"(١)، فكيف بتكرار حرفين فى بيت واحد. وإذا كان الشاعر قد وصل بين شطري هذا البيت لما بينهما من توسط بين الكمالين؛ إذ الجملتان خبريتان لفظا ومعنى وبينهما ما بينهما من لحمة وارتباط، إلا أنه قام بفصل البيت الثانى عن الأول؛ وذلك لشبه كمال الاتصال إذ كان البيت الثانى بمثابة إجابة لسؤال ناجم ومقدر عن البيت الأول مؤداه: لماذا أشكو ظاهرى، وباطنى، وقومى إلى الله؟ فكانت الإجابة قابعة فى البيت الثانى كله، فكأنه قال لأنى:

فَتَلَتْ مِنْهُمْ مُضَرًا بِمُضَرِي ... شَفَيْتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مَعْشَرِي

وهكذا **جند الشاعرعدة أساليب لتقوية وتأكيد الطباق فى هذا الموضع.**

ويقول فى مقام حديثه عن الدهرمن الرجز(٢)

مَا الدَّهْرُ إِلاَّ يَقَظَةٌ وَنَوْمُ ☆☆ وَلَيْلَةٌ بَيْنَهُمَا وَيَوْمُ

يَعِيشُ قَوْمٌ وَيَمُوتُ قَوْمُ ☆☆ وَالدَّهْرُ قَاضٍ مَاعَلَيْهِ لَوْمُ

فى هذين البيتين ثلاثة أنواع من الطباق، الأول: بين اسمين، والثانى بين فعلين، حيث طابق فى البيت الأول بين اسمين، بين اليقظة

---

(١) دراسة في البلاغة والشعر:٢٠٤.

(٢) الديوان:١٣٦.

والمنام فقال"يَقَظَةٌ وَنَوْمُ" وفى البيت الثانى طابق بين فعلين فقال"يَعِيشُ قَوْمٌ وَيَمُوتُ قَوْمُ"، والطباق الثالث بين الظرفين "ليلة" و"يوم" وهو طباق معنوى إذا ما جعل اليوم بمعنى النهار، فيصح التضاد بين الليلة والنهار.

والطباقات الثلاثة مرشحة لورودها بين عدة أساليب بلاغية، فقد ولد الطباق الأول من رحم أسلوب القصر، وذلك فى قوله "مَا الدَّهْرُ إِلاَّ يَقَظَةٌ وَنَوْمُ" وهو من قصر الموصوف على الصفة قصرا حقيقيا ادعائيا مبنيا على المبالغة، فالدهر ليس يقظة ونوما فقط . أما الطباق الثانى بين"يَعِيشُ.... وَيَمُوتُ" فقد وقع بين أسلوب القصر السابق، وبين ذلك التشبيه البليغ فى قوله "وَالدَّهْرُ قَاضٍ مَاعَلَيْهِ لَوْمُ"، ولم يكن تشبيها بليغا لحذف الوجه والأداة منه؛ بل لأنه تشبيه دق لفظه، وحسن وقعه، وندرت صورته (١) ، فقل وندر ما تجد تشبيه الدهر بقاض. ومما لا يخفى أن تنكير "قاضٍ" أتاح للشاعر أن يصفه بقوله "مَاعَلَيْهِ لَوْمُ". وهكذا رأيت الشاعر يجمع فى بيتين اثنين بين ثلاثة أنواع من الطباق بين اسمين، وبين فعلين، وبين ظرفين، ليس هذا فحسب، بل كانت مرشحة كما رأيت.

وفى البيتين من الموسيقى الداخلية ما لا تخطئه أذن، نجمت تلك الموسيقى من تكرار الشاعر حرفي "الواو" و"الميم" عشرين مرة، فكان نصيب "الواو" من التكرار إحدى عشرة مرة، أما "الميم" فقد تكررت تسع مرات.

---

(١) ينظر: دراسات وتطبيقات فى علم البيان د/ يحيى محمد يحيى:١٥٦، ١٥٥- مطبعة الأمانة- ١٤١١هـ ، ١٩٩١م.

ويقول فى مقام سائل يسأله عطاء، فخيره بين العطاء والسؤال، فقال السائل: كلامك أحب من عطائك، فقال من المنسرح:(١)

إِنْ عَضَّكَ الدَّهْرُ فَانْتَظِرْ فَرَجًا ☆☆ فإنَّـهُ نـازلٌ بِمُنْتَظِـرِهِ

إلى أن قال:

مَنْ مَارَسَ الدَّهْرَ ذَمَّ صُحْبَتَهُ ☆☆ ونال مِنْ صَفْوِهِ ومِنْ كَدَرِهِ

الطباق – كما هو واضح – فى البيت الثانى ، بين الصفو والكدر، وقد أبان عن حال التضاد والتقلب للدهر، وهى أبرز سماته وصفاته فالدهر قلب لا يدوم على حال، فإذا سر إنسانا في صباح يومه أساء إليه في مسائه، ومن سره زمن ساءته أزمان. هذا وقد استهل الشاعر قوله لذلك السائل البائس بأسلوب الشرط بـ"إن" التى توحى بعدم الجزم فى الوقوع، حيث يتحدث عن ضيق العيش وقلة الحيلة، وهذا لعمرى من براعة الاستهلال، فهو– رضى الله عنه – فطن بحال من يخاطب، وكأنه يبشر مخاطبه بأن مثل تلك الحال التى هو عليها الآن قليلة ونادرة، فأبشر بتغير حالك إلى أحسن حال.

ومما لا يخفى أن فى البيت الأول طباقًا أيضا، ولكنه طباق خفي حيث طابق بين الضيق المفهوم من الصورة البيانية فى قوله "عَضَّكَ الدَّهْرُ" وبين قوله "فرجا".

وقد استعان الشاعر فى تصوير شظف العيش وشدته بتلك الصورة البيانية من خلال الاستعارة التبعية حيث قال"عضك الدهر" فقد شبه الضيق وما يستتبعه من إيلام الحرمان، وشدة الفاقة بالعض، ثم اشتق من المصدر

---

(١) الديوان: ٧٤.

"العض" الفعل "عضك"على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية – ويمكن حمل تلك الاستعارة على الكناية أيضا– وغني عن البيان أن التعبيرعن شدة العيش وشظفه – وهو أمرمعنوي – تعبيرعن الشيء المعنوي بشيء يرى ويحس، وهو تصوير مؤثر وموح، يهزالنفس ويثير العطف قبل الخيال .

كما لا يخفى أن في اصطفاء الشاعر في تصوير حال شدة الدنيا وضيقها أسلوب الاستعارة دون غيره من الصور البيانية الأخرى من تشبيه وكناية، فلعل ذلك راجع لما للاستعارة من شدة المبالغة ودقة التصوير وتعدد المعاني، وفي ذلك المضمار يقول شيخ البلاغيين عنها "أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر"([١]). وتأتى الفاء فى جواب الشرط فى قوله "فانتظر فرجا" بمثابة البشرى السريعة لزوال ذلك الضيق، وأبان أسلوب الأمر هنا عن النصح الممزوج بالبشارة، وجاء قوله "فرجا" منكرا مبالغة فى عظمه، فيبدو أنه ليس فرجا عاديا فحسب، بل هو من العظم بمكان، وقد أسهم التنوين فيه بحظ وافر فى إبراز تلك المعانى، وفى بناء الكلام على الشرط والجواب تقوية لأواصر الأساليب بمعانيها.

وتتوالى البشريات فى هذا البيت بزوال الكرب وتبدل الضيق إلى سعة، ففى إيثار صيغة اسم الفاعل "تازلٌ" دلالة على ثبات ودوام نزول الفرج بمن ينتظره. وقد أعانه التنوين فيه على إطلاق نغمات توحى بالأمل والثقة

([١]) كتاب أسرارالبلاغة للإمام عبد القاهرالجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر:٤٣– مطبعة المدني – ط – أولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م

الكبيرة فى ذلك الشأن، تلك التى أفصحت عنها مفردات الشاعر فى صدر البيت. ثم يأتى البيت التالى الذى به الطباق وقد استهله أيضا بأسلوب الشرط والجواب قائلا "مَنْ مَارَسَ الدَّهْرَ ذَمَّ صُحْبَتَهُ"، وقد أماط الشرط وجوابه عن حقيقة الدهر التى جبل عليها، والتعبيرعن كثرة ملازمة الدهر للتعرف على حقيقته بالممارسة من قبيل الاستعارة التبعية، ولهذه الاستعارة وقعها فى قلب المخاطب حتى يرضى ويصبر بما عليه، فتلك طبيعة الدهر وديدنه مع من يوقن بحقيقته.

وقوله "ونال مِنْ صَفْوِهِ ومِنْ كَدَرِهِ" وصل بما قبله لما بينهما من التوسط بين الكمالين، فكلتا الجملتين خبريتان لفظا ومعنى، وبينهما ما بينهما من وشائج القربى والصلات. فهو معطوف على جواب الشرط السابق، وقد تضمن أسلوب الطباق بين الصفو والكدر. وفى تقديم الصفو على الكدر – علاوة على المحافظة على الوزن والقافية – استمرار على انتهاج وإيثار مبدأ التبشيرعلى التنفير.

وقد كرر الشاعر حرف الهاء فى هذا البيت ثلاث مرات جلبا للموسيقى الداخلية للبيت وكشفا لطبيعة المكثر من نطق ذلك الحرف عند الملمات.

وفى مقام حديثه عن الدنيا يقول من البسيط:([1])

للناسِ حِرْصٌ عَلَى الدُّنْيَا بِتَدْبِيرِ ☆☆ وَصَفْوُهَا ممزوجٌ بتكديرِ

كم من ملحٍّ عليها لا تساعده ☆☆ وعاجزٍ نال دنياه بتقصيرِ

([1]) الديوان:٧٥.

يبرز الشاعر الخطأ الذى عليه أولئكم الناس الذين يبالغون فى تدبيرهم حرصا مبالغا فيه على الدنيا، والتقديم فى أول البيت أفصح عن تلك المعانى.

وتنكير "حِرْصٌ" كشف عن مبالغتهم فيه، فهو ليس حرصا عاديا، وأسهم التنوين فيه فى إبراز ذلك المعنى.

وأتى الطباق فى قوله "وَصَفْوُهَا ممزوجٌ بتكدير"، حيث طابق بين الصفو والتكدير، وقد صور لنا هذا الطباق حقيقة الدنيا أدق تصوير، فحتى فى حال صفوها لا يكون صفوها خالصا بل لا بد من مزجه وخلطه بالكدر.

وهذا الطباق مرشح حيث ورد مبنيا على الاستعارة المكنية من خلال تشبيه الدنيا حال صفوها الممزوج بالكدر بالشراب المخلوط بما يعكر صفوه، وحذف الشراب ، وأبقى شيئا من لوازمه وهو المزج.

ووصل الشاعر بين شطري هذا البيت لما بينهما من التوسط بين الكمالين، فكلتا الجملتين خبريتان لفظا ومعنى، وقد كشف ذلك الوصل عما عليه هؤلاء القوم من خطأ جم فى تشبثهم وحرصهم الزائد على الدنيا وطبيعتها هكذا.

وفصل الشاعر البيت الثانى عن الأول لما بينهما من كمال الانقطاع بلا إيهام، حيث اختلف البيتان بين الخبرية والإنشائية، إذ كان الأول خبريا، والثانى إنشائيا حيث استهله بـ"كم" الخبرية، فهو إنشاء غير طلبي([1])؛ لذا

([1]) وذلك على اعتبارما تتضمنه "كم" الخبرية من إنشاء لمعنى التكثير، وعدم انسلاخ الإنشائية عنها، ينظر فى ذلك حاشية الصبان على شرح الشيخ =

وجب الفصل بينهما؛ لأن الوصل يقتضى التآلف والتناسب بينهما وهما متباينان، لذا فصل بينهما فقال:

كم من ملحٍّ عليها لا تساعده ☆☆ وعاجز نال دنياه بتقصير

ودل التعبير بـ"كم" الخبرية عن كثرة هؤلاء الحريصين عليها وهى معرضة عنهم، وفى المقابل كثرة العاجزين الذين لا يحرصون عليها حرص أولئكم، فمن ثم هى تقبل عليهم إقبالا. وفى اتكاء الشاعر فى بيته الثانى على أسلوب المقابلة تقوية وتعليل لمعنى الطباق فى البيت الأول، وبذا ترى الصور البديعية على تنوعها يأخذ بعضها بيد بعض فى إبراز المراد وتأكيده وتقويته.

ومن ثم ختم به الشاعر كلامه حتى يكون بمثابة حسن الختام . ويقول فى مقام حديثه عن التطبع والتصنع عند البشر من مجزوء الكامل:([1])

الأشموني–على ألفية الإمام ابن مالك لمحمد بن علي الصبان الشافعي:١/٣٧– دار الكتب

العلمية– بيروت – لبنان – ط ١ – ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧م، والنحو الوافى:عباس حسن:١/٣٧٤– هامش ٢– دار المعارف

– ط١٥ – د.ت، والأساليب الإنشائية فى النحو العربي/ عبد السلام محمد هارون، ينظر صفحات:١٣، ٢٧، ٩٠، ٩١– مكتبة الخانجي بمصر – ط ٢ – ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م.

([1]) السابق:١٠٠.

إنَّ التَّخَلُّقَ ليسَ يَمْـ ☆☆ ـكُثُ أنْ يَؤُولَ إلى الطَّبِيعَهْ
جُبِلَ الأنَامُ مِنَ العِبَـا ☆☆ دِ عَلَى الشَّرِيفَةِ وَالوَضِيعَـهْ

يشير الشاعر إلى حقيقة ثابتة ومهمة وهى أن الطبع – كما قيل يغلب التطبع – هو الدائم الغالب بينما التصنع إلى انقضاء وزوال، ويلحظ على الشاعر أنه أكد كلامه بـ"إن"، مع أنه لا يخاطب منكرا ولا منزلا منزلة المنكر، إنما تأكيده هنا ليس منظورا فيه إلى حال المخاطب "وإنما ينظر فيه المتكلم إلى حال نفسه ومدى انفعاله بهذه الحقيقة.. وهذا اللون كثير جدا وله مذاقات حسنة"([1])، فشاعرنا هنا يصوغ هذا المعنى كما أحسته نفسه مراعيا حال هذه النفس، فهو لم يشكل صياغة عبارته بدوافع خارجية يلحظها عند مخاطبه([2]).

وأتى البيت الثانى مفصولا عن سابقه لما بينهما من شبه كمال الاتصال، إذ أثار البيت الأول سؤالا فحواه: لماذا كان التخلق سرعان ما يعود إلى الطبيعة؟ فكان البيت الثانى بمثابة الإجابة عليه، فقال:

جُبِلَ الأنَامُ مِنَ العِبَـا ☆☆ دِ عَلَى الشَّرِيفَةِ وَالوَضِيعَـهْ

وفى قوله "جُبِلَ" اتكاء من الشاعرعلى الفعل المبني للمجهول، ولعل من الفصاحة بمكان اصطفاء البناء للمجهول لعدم تعلق الغرض بالفاعل – أي بمن قام بفعل ذلك ، وهو المولى عز وجل – ففيه ما فيه من العموم والاختصار. ويأتى الطباق فى قوله "الشَّرِيفَةِ وَالوَضِيعَهْ" أى بين الأخلاق الحسنة المحببة التى يتسم صاحبها بالشرف، والسؤدد، والمكانة، وبين

([1])خصائص التراكيب:٩١.
([2]) السابق:٩٢.

تلك الأخلاق السيئة المبغضة التى يوسم صاحبها بالحقارة والوضاعة، وقد أماط هذا الطباق اللثام عن التناقض فى أخلاقيات بعض البشر، فتارة تكون حسنة شريفة وأخرى سيئة وضيعة.

ولعل الشاعر فى بيتيه السابقين متأثر بقول زهير بن أبى سلمى من الطويل:([1])

ومَهما تكُنْ عندَ امرىءٍ من خليقةٍ ☆☆ وإنْ خالَها تَخفَى على النّاسِ تُعلَمِ

ويقول فى مقام الوعظ والنصح من المتقارب:([2])

إذا كُنْتَ في نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ☆☆ فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ

وَحَافِظْ عَلَيْهَا بِتَقْوَى الإِلَهِ ☆☆ فَإِنَّ الإِلَهَ سَرِيعُ النِّقَمْ

كثيرا ما يعتمد الشاعر فى أشعاره على أسلوب الشرط، فقد وجد فيه بغيته لإحكامه كلامه وتقويته ولفت مزيد من الانتباه واستثارة العقول والمشاعر. وشاعرنا– رضى الله عنه – عربي قح يدرى طبيعة أداة الشرط التى تتناغم والمعنى المراد، فلما كان القول هنا فى معرض الحديث عن نعم الله –عز سلطانه– على خلقه، اصطفى أداة الشرط "إذا" لما لها من دلالة على كثرة الوقوع، ونعم الله – تعالى – علينا لا تعد ولا تحصى.

وجواب الشرط "فَارْعَهَا" أسلوب أمر معناه البلاغي النصح والإرشاد، وأتى معطوفا بالفاء؛ وذلك ربطا للشرط بالجواب، وإسراعا فى بث النصح

([1]) ديوانه، اعتنى به وشرحه/حمدُو طمَّاس:٧٠– دار المعرفة– بيروت – لبنان – ط ٢– ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٦م.

([2]) الديوان:١٣٨.

والإرشاد حفاظا على النعمة.

وكأن فى الكلام حذفا مفهوما تقديره "فارعها بتجنب المعاصى" فيكون للعموم والاختصار، أو لكون الفاعل معلوما.

وقوله فى الشطر الثانى "فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ" كأنه جاء تعليلا لهذا المحذوف ، وقد أكد الشاعرهذا القول بـ"إن" واسمية الجملة لانفعاله بتلك الحقيقة وإيمانه الجم بها.

وفى القول أيضا مجازعقلي علاقته السببية؛ وذلك فى قوله "المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ" والحق أن الله – عز وجل – هو من يؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يشَاءُ وَينْزِعُه عمَّنْ يشاء، إلا أن المعاصى لما كانت هى السبب القوي والمباشر فى ذلك الأمر، فكأنها هى التى تسلب النعم، وهنا تكمن بلاغة التعبير بالمجاز العقلي فى البيت، ومن هنا وجدت شيخ البلاغيين يقول عنه إنه "كنز من كنوزِ البلاغة ومادَّةُ الشاعر المُفْلِقِ والكاتبِ البليغِ في الإبداع والإحسان والاتِّساعِ في طُرُق البيانِ"([1]).

والطباق بين "النعم" فى البيت الأول و"النقم" فى البيت الثانى، أتى كاشفا عن حالي الإنسان المتناقضين فى تلك الحياة، فهو لا يعدو أن يكون إلا بين نعمة أو نقمة، ومجيء ذلكم الطباق فى هذا الجو المفعم بالوعظ والنصح والتحذير أدعى للإنسان أن ينزجر ويرعوي، ويحافظ – مادام حيا– على دوام نعم الله عليه بتقواه وتجنب معاصيه.

([1]) دلائل الإعجاز:٢١٤.

ووصل الشاعر بين قوله "فارعها" فى البيت الأول، وأول البيت الثانى "فحافظ عليها" لما بينهما من التوسط بين الكمالين فكلاهما إنشاء لفظا ومعنى، وبينهما ما بينهما من ارتباط وثيق.

والأمر"فحافظ" للنصح والإرشاد أيضا، وقوله "فَإِنَّ الإِلَـهَ سَرِيعُ النِّقَمْ" فيه وضع للمظهر موضع المضمر، فقد سبقت كلمة "الإله" وكان يمكن – فى غير الشعر – الإضمار، فيقول "فإنه سريع النقم" إلا أن فى الإظهار بثًّا لاستشعار الخوف واستحضار الوجل من سريع النقم، وهو ما يتناغى والغرض المسوق له الكلام.

وغني عن البيان القول بترشيح هذا الطباق لما اعتوره من تلك الصور البلاغية من حذف بلاغي، ومجازعقلي، وفصل ووصل، ووضع للمظهر موضع المضمر وغير ذلك من الأساليب البلاغية الأخرى.

ب- الطباق بين الأسماء عن طريق السلب:

ورد طباق السلب بين الأسماء فى شعرعلي بن أبى طالب– رضى الله عنه – بنسبة أقل من طباق الإيجاب، وقد جاء ذلك فى سياقات ومقامات متعددة ومتنوعة، وأتى الضدان فيه أحدهما مثبت، والآخر منفي فى سياقات وأحوال مختلفة.

فمن ذلك قوله فى مقام حديثه عن كل من البلية، والجمال، واليتيم من البسيط:([1])

ليس البليّةُ في أيامنا عجبًا ☆☆ بل السلامة فيها أعجب العجبِ

([1]) الديوان:٢٨.

لَيْسَ الجَمَال بأثْوابٍ تُزَيِّنُنَا ☆☆ إن الجمال جمال العلم والأدبِ

ليس اليتيم الذي قد مات والده ☆☆ إِنَّ اليَتيمَ يَتيمُ العِلْمِ والأدَبِ

الطباق فى البيت الأول بين "البلية" المنفي و"السلامة" المثبت، وفى البيت الثانى بين "الجمال" المنفي فى الشطر الأول و"الجمال" المثبت فى الشطر الثانى، وفى البيت الثالث بين "اليتيم" المنفي فى الشطر الأول و"اليتيم" المثبت فى الشطر الثانى. وتوالى الطباقات الثلاثة فى أبيات ثلاثة متوالية تكشف عن وصول الشاعر إلى درجة من الولوع بذلك اللون البديعي حتى يكثر منه ذلك الإكثار.

يتحدث الشاعرفى هذه الأبيات عن عدة مفاهيم راسخة لديه ويعايشها، فأراد بثها وإيصالها لغيره.

ففى البيت الأول يريك الشاعرأن البلايا عمت الناس، فليس عجيبا أن ترى إنسانا ذا بلية، بل أعجب العجب أن ترى نزول السلامة به، وقد كشف الطباق فى هذا البيت عن إغراق الناس بالبلايا، حتى صارت كأنها طبيعة عيشهم، أما من تمسه السلامة فذاك أمرغريب نادر الوقوع حتى عده الشاعر من "أعجب العجبِ". وفى البيت الثانى ينفى الشاعر المفهوم الخاطئ بأن مكمن الجمال فيما يلبس من أثواب تزين لابسها، ويتكئ على الطباق فى إبراز ما يريد كاشفا عن أن الجمال الحقيقي إنما هو فى التحلى بالعلم والأدب.

وفى البيت الثالث يضع الشاعر المصطلح العلمي الحقيقي لمعنى اليتيم، فهو – كما صرح – ليس الفاقد والده، مستعينا- أيضا- بالطباق فى بيان ذلك، وهو أن اليتيم ذاك الذى فقد العلم والأدب.

ومن الوضوح بمكان أن شاعرنا لم يتخذ من الطباق زخرفة وحلية وطلاء ظاهريا، بل استعمله حينما تطلبه السياق واستدعاه المقام، وقد كشف به عن مكنونات نفسه وخبايا صدره بتلك المشاعرعن كثرة البلايا فى أيامه وندرة السلامة، وإيضاح مفهومي الجمال واليتم.

ومن أبرز الأساليب التى تعاونت مع الطباقات فى الأبيات الثلاثة السابقة التكرار حيث تكررت أداة النفى "ليس" ثلاث مرات، كما تكررت كلمات العجب، والجمال، واليتيم، ثلاث مرات أيضا، وكرر كذلك "العلم والأدب".

ومن نافلة القول أن التكرار صورة من صور الإطناب، يأتي لتأكيد المعاني وتقريرها، وهكذا كان مقصد الشاعر من وراء تكراره هنا، كما أن وراء هذا التكرار ربط معاني الكلام بعضه ببعض وتأكيده وتقريره.

ويقول فى مقام شحذ الهمم والاعتماد على النفس من المنسرح:([1])

إِنَّ الفَتَى مَنْ يَقُولُ هَا أَنَا ذَا ** لَيْسَ الفَتَى مَنْ يقولُ كَانَ أَبِي

الطباق بين "الفتى" المثبت فى الشطر الأول و"الفتى" المنفي فى الشطر الثانى فى قوله "لَيْسَ الفَتَى"، وقد أفصح ذلك الطباق عن حقيقة ما يجب أن يكون عليه الإنسان من شجاعة وإقدام وركوب للمخاطر بغية نيل المعالى، وليس الاكتفاء بما حققه الآباء والأجداد من مجد مؤثل.

وهكذا ترى الشاعراتخذ من هذا الطباق سوطا يلهب به ظهور الكسالى، وذوى الخمول والبلادة، والعظاميين الذين ليس لهم عمل يذكر سوى المفاخرة بالآباء والأجداد.

([1]) الديوان:٢٨.

وقد نلمح من طرف خفي من وراء ذلك الطباق، البوح بما كان عليه الناس فى الجاهلية- وشاعرنا قريب عهد بها- من ذكرهم مآثر ومفاخر آبائهم وأجدادهم، وكأنه - رضى الله عنه- ينهى بأسلوب الطباق عن مثل تلك الأخلاق السيئة.

ويقول فى مقام يمدح فيه قبيلة الأزد من البسيط:([1])

يا مَعْشَرالأزْدِ إنِّي مِنْ جُمُوعِكُمُ ☆☆ راضٍ وَأنْتُمْ رُؤُوسُ الأمْرِ لاَ الذَّنَبِ

المقام مقام مدح وإشادة بهؤلاء القوم، والطباق هنا بين "رُؤُوسُ" المثبت و"الذَّنَبِ" المنفي بـ"لا"، وقد كشف الطباق عن سامق مكانة هؤلاء بين الناس لدى الشاعر، فهم الأساس وهم الرأس، وماعداهم تابع لهم وذنب، وشتان ما بين الرأس والذنب!

والطباق هنا مرشح حيث أسس على الاستعارة التصريحية، فقوله "أَنْتُمْ رُؤُوسُ الأمر" أى: أصله، ولا يمكن الاستغناء عن أصل الشيء، فقد شبه الأصل بالرأس، وحذف المشبه، وأقام المشبه به مقامه. وكان النداء من الأساليب التى استعان بها الشاعرفى تقوية وتأكيد المعنى الذى كشف عنه الطباق، حيث أفصح النداء عن الإشادة بهم. والإضافة فى قوله "مَعْشَرالأزْدِ" تتناغى والغرض المسوق له الكلام ، فهى للتشريف.

([1]) الديوان:٣٧.

وتأكيد الخبر بـ"إن" واسمية الجملة فى قوله "إِنِّي مِنْ جُمُوعِكُمُ راضٍ" أتى كاشفا عن تلك الحقيقة التى انفعلت بها نفس الشاعر، فليس المقام مقام رد على منكر، أو منزلا منزلته.

وتقديم الجار والمجرورعلى اسم الفاعل "راض" فى قوله "إِنِّي مِنْ جُمُوعِكُمُ راضٍ" أبان عن سعادته وتلذذه بتلك الجموع فقد أسعدته وأقرت عينه؛ لذا قدمها. والتعبير باسم الفاعل "راض" أراد به دوام واستمرار ذاك الرضا، فالمقام مقام إشادة ومدح وافتخار.

ووصل بين قوله "إِنِّي مِنْ جُمُوعِكُمُ راضٍ" وقوله "وَأَنْتُمْ رُؤُوسُ الأَمْرِلاَ الذَّنَبِ" لما بينهما من التوسط بين الكمالين؛لاتفاق الجملتين فى الخبرية لفظا ومعنى، وبينهما ما بينهما من ارتباط وثيق. واصطفاء الشاعر صيغة الجمع فى قوله "رُؤُوسُ" يتواءم مع صيغة الجمع لقوله "جُمُوعِكُمُ" وكلتاهما تتناغيان مع الإشادة والمدح وإظهار الرضا والحبور. وهكذا رأيت كيف رسم الشاعر تلك اللوحة الفنية ذات الأسس البلاغية، تلك التى أسهمت فى تأكيد وتقوية ما رمى إليه الطباق فى البيت.

****

(ج) الطباق المعنوي بين الأسماء:

كما ورد الطباق ظاهرا وجليا فى شعرعلي بن أبى طالب – رضى الله عنه – ورد خفيا أو معنويا، من ذلك قوله فى مقام حديثه عن أن الإنسان بين حالين لا ثالث لهما، فيقول من الخفيف([1])

هِـَى حَـالَـانِ: شِـدَّةٌ ، وَرِخَـاءُ ☆☆ وَسِجَـالَـانِ:نِعْـمَـةٌ وَبَـلَاءُ

فى هذا البيت طباقان معنويان الأول: بين "شِدَّةٌ" و"رِخَاءُ"، وكلاهما اسم، وإدراك الطباق هنا يحتاج إلى قدر من التأمل؛ لأن الذى يضاد الشدة اللين، وليس الرخاء، ولكن لما كان فى الرخاء ما يؤدى إلى لين فى العيش صح هذا التضاد، فمن ثم هو طباق خفي أو معنوي كما يقول العلماء.

الثانى: بين"نِعْمَـةٌ" و"بَـلَاءُ"، وكلاهما اسم كذلك، وما قيل حول الطباق الأول يقال هنا، فالذى هو ضد النعمة النقمة، ولكن لما كان فى النقمة ما يحول حياة الإنسان إلى هم وكرب عظيم استحالت بلاء، فمن ثم صحت المطابقة والتضاد.

والطباقان مرشحان لورودهما فى كنف الإطناب؛ وذلك من خلال الإيضاح بعد الإبهام وقد صاغ ذلك من خلال صورتي التوشيع فى كلا الشطرين، حيث ذكر فى الشطر الأول المثنى "حالان" وكان شيئا مبهما، ثم ما لبث أن فسره بمفردين هما: الشدة والرخاء ، وكذلك الحال فى الشطر الثانى، إذ ذكر المثنى"سجالان" ثم فسره بالمفردين: النعمة والبلاء، فكان إبهاما أعقبه إيضاحا فكأنه ذكر المعنى مرتين، مرة مبهما ومرة موضحا، وقد رام

([1]) الديوان:١٥.

الشاعرمن وراء هذا التوشيع تفخيم وتعظيم هذين الحالين، وذلكما السجالين.

وفى البيت ذكر وحذف للمسند إليه، فقد ذكره فى أول البيت فى قوله "هى" مبرزا معانى الاهتمام والتعظيم.

وأما حذفه فكان فى أول الشطرالثانى فى قوله "وسجالان" إذ التقدير "وهى سجالان" وكان الحذف هنا لدلالة الأول عليه، فحذفه تنزهًا عن العبث، وبذا تتعاضد الأساليب قاطبة فى تقوية وتأكيد المراد من وراء الطباقين فى البيت.

ويقول فى مقام المناجاة من الوافر:([1])

وَدَائِي بَاطِنٌ وَلَدَيْكَ طِب ☆☆ وَمَنْ لِي مِثْلُ طِبِّكَ يا طَبِيبِي

الطباق المعنوي هنا بين "دَائِي" و"طِبٌّ" فضد الداء الدواء وليس الطب، ولكن لما كان الطب مشتملا على الدواء صح الطباق، وفى إيثار التعبير بالطباق المعنوي فى كلمة "طب" دون الطباق الواضح الصريح، ما يحكى لنا من طرف خفي وقوف الشاعر على مدلول كل كلمة منهما، فشاعرنا يعى جيدا أن الطب أشمل وأوسع من الدواء، إذ من مهامه تشخيص الداء أولا– وتلك الخطوة الأهم – وثانيا: تحديد الدواء المناسب للحالة المرضية.

وهذا المعنى الواسع لتلك الكلمة ألمح إليه الشاعر فى ثانى كلمة فى البيت، فى قوله "وَدَائِي بَاطِنٌ" والداء الباطن لا يعلمه إلا الباطن عز وجل.

([1]) السابق:٤١.

وقوله "وَدَائِي بَاطِنٌ" كناية عن أمراض القلوب من غفلة، وقسوة، وشعور بالوحشة وما إلى ذلك، ومن أجل ذلك كان الطباق هنا مرشحا؛ لاشتماله على تلك الكناية، والتنكير فى "طبٌّ" أبان عن معانى التعظيم والتفخيم من شأن ذلك الطب، والاستفهام فى قوله "وَمَنْ لِي مِثْلُ طِبِّكَ يا طَبِيبِي" أفاد معنى النفى، فلا يوجد البتة طب يشبه أو يحاكى طبه وشفاءه عز وجل، فهو الشافى شفاء لا يغادر سقما.

والإضافتان فى قوله "مِثْلُ طِبِّكَ" تكشفان بل تزيدان معانى عظمة ونجاعة طبه سبحانه، والنداء فى نهاية البيت يوحى بتلذذ النداء بذلك الاسم وكأنه يتطبب به.

وتأمل تكرار تلك الكلمات ذات المادة الواحدة "طب" و"طبك" و"طبيبى" وهو ما ينبئ بظمأ شديد إلى التطبب والتداوى.

ويقول فى مقام يحث نفسه على الصبرعلى شدة الأيام وقسوتها من البسيط:([1])

إنِّي أقُوْلُ لِنَفْسِيُ وَهْيَ ضَيِّقَةٌ ☆☆ و قَدْ أناخَ عليها الدَّهْرُ بِالعَجبِ:

صبراً على شدة الأيام إنَّ لها ☆☆ عُقْبَى وَمَا الصَّبْرُ إلاَّ عِنْدَ ذِي الحَسَبِ

الشاعر هنا مع حديث مع النفس، يستهل حديثه معها بالخبر المؤكد بـ"إن"واسمية الجملة؛ وذلك لأن ما سيحدثها به حقائق وثوابت انفعل بها وعاش وتعايش معها.

([1]) الديوان:٢٩.

والتعبير بالمضارع كشف عن تجدد واستمرار هذا القول منه، فى إشارة لاستمرار شظف عيشه طويلا.

وفى إضافة ضميره إلى النفس ما يوحى بإشفاقه عليها، بخلاف ما لو قال "أقول للنفس".

وقوله "وَهْيَ ضَيِّقةٌ، وقَدْ أناخَ عليها الدَّهْرُبِالعَجبِ" جملتان اعتراضيتان بين قوله "إِنِّي أَقُوْلُ لِنَفْسِيُ" وقوله فى البيت الثانى "صبراً على شدة الأيام...." الخ البيتين.

وقد كشف الاعتراض عن التنبيه على أمر هام ألا وهو ما آل إليه حال نفسه، وما صنع الدهر بها.

وقوله "صبرا" أمر بالمصدر أفصح عن الحث والحض على لزوم الصبر.

ويأتى الطباق بين قوله "شِدَّةِ" وقوله "عُقْبَى"، والذى يضاد الشدة الفرج وليس العقبى، ولكن لما كان غالبا ما يعقب الشدة الفرج صح التضاد وتأتَّى الطباق.

والطباق هنا مرشح لما اعتوره من أساليب بلاغية سابقة، وكذلك لتذييله الطباق بجملة القصرفى قوله "وَمَا الصَّبْرُإلاَّ عِنْدَ ذِي الحَسَبِ" وهو قصر صفة على موصوف قصرا حقيقيا ادعائيا مبنيا على المبالغة، إذ ليس الصبر حكراعلى ذوى الحسب فحسب، وقد وقعت جملة القصر تذييلا رائعا وهو جار مجرى المثل؛ وذلك لتعلقه بالغرض المسوق له الكلام.

****

المبحث الثانى

الطباق بين الأفعال

فى شعرعلي بن أبى طالب رضى اللّه عنه

ورد الطباق بين الأفعال فى شعره – رضى الله عنه – على صور كثيرة، وفى مقامات عدة، وشمل كل الأقسام التى ذكرها البلاغيون للطباق بين الأفعال، فورد موجبا، وسالبا، وخفيا أو معنويا، وجاء مقتضيا للحال، وكما تطلبه المقام، فكان عفو الخاطرغير متكلف، واستعان به الشاعر فى المدح، والهجاء، والصبرعلى البلاء، والرضا بالمقسوم، والمناجاة، والحديث عن الأخوة إلى آخر ما سيفصح عنه ذلك المبحث، وسيكون الحديث عن الطباق بين الأفعال عنده على النحو التالى:

(أ) الطباق بين الأفعال عن طريق الإيجاب:

يقول فى مقام يوصى فيه ابنه الحسين – رضى الله عنهما – من الكامل:([1])

أبنيَّ إنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ ☆☆ فعليكَ بالإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ

كَفِلَ الإِلَهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيّةٍ ☆☆ وَالمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ

يستهل الأب الحانى البيت الأول موصيا ابنه بذاك النداء الذى يقطر حنوا وشفقة ورحمة، وأسهم التصغير فى تأكيد تلك المعانى وإبرازها.

([1]) الديوان:٣٨.

وقوله "إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ" أورده مؤكدا بـ"إن" واسمية الجملة لانفعاله وتيقنه بمفهومها ومضمونها، وليس لأمر راجع إلى المخاطب حاشاه.

واسم فعل الأمرفى قوله "فعليك بالإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ" كشف عن النصح والإرشاد.

والفصل بين البيت الأول والثانى لما بينهما من شبه كمال الاتصال، حيث أثار البيت الأول سؤالا مؤداه: لماذا ينصح الوالد ابنه بالإجمال فى طلب الرزق؟ فجاء البيت الثانى بمثابة الإجابة عن ذاك السؤال، فقيل "كَفِلَ الإِلَهُ بِرِزْقِ....." الخ البيت. والطباق أتى هنا بين الفعلين "تَجِيءُ" و"تَذْهَبُ" كاشفا عن خاصية من خواص المال وهى عدم ثباته عند أحد، فمن ثم هو يذهب ويجيء، وإذا كانت تلك هى طبيعة المال وديدنه، كان حريا بالإنسان ألا يشغله ذاك عن معالى الأمور.

والطباق هنا مرشح لخروجه من رحم التذييل المتمثل فى قوله "وَالمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ" وهو تذييل أكد المعانى السابقة وقررها، وهو جار مجرى المثل. ويقول فى مقام الفخر:([1])

نحنُ الكرامُ بَنو الكرامِ ☆☆ وطِئْنَا فى المهدِ يُكنى

إنَّا إذا قَعَدَ اللِّئَامُ ☆☆ عَلى بِسَاطِ العِزِّ قُمْنَا

فى البيتين طباقان الأول بين اسمين عن طريق الإيجاب حيث طابق بين "الكرام" فى البيت الأول و"اللئام"فى البيت الثانى، أما الطباق الثانى وهو الذى بين فعلين فقد ورد فى البيت الثانى بين "قعد" و"قمنا"، ومما لا يخفى

([1]) السابق:١٤٩.

أن الطباق الثانى مبنى على الطباق الأول فى المعنى، فلا تجد له قيمة تذكر إلا باعتبار فحوى ومضمون الطباق الأول.

وفى البيتين من الأساليب ما يقوى ويعضد معنى الطباقين، فقد استهل البيت الأول بتعريف المسند إليه بالضمير "نحن الكرام" كاشفا عن بلوغه فى الفخار ما بلغ، والإضافة فى قوله "بنو الكرام" للتشريف وهى تتناغى مع التعريف بالضمير.

وإذا كانت الكنية – الحسنة طبعا – لا ينالها إلا الكبيرفى قومه سنا ومقاما، إلا أن أطفال قوم الشاعر ينالون الكنى وهم فى مهدهم. ويذكرنا حديث الشاعر– فى معرض فخره – عن حصول أطفالهم على الكنى وهم لم يزالوا بعد فى مهادهم، يذكرنا بقول عمرو بن كلثوم:

إذا بَلَغَ الفِطَامَ لَنا رَضيعٌ ... تَخِرُّ لَهُ الجَبابرُ ساجِدينَا

وبين القولين ما بين السماء والأرض، فأن تخر الجبابر ساجدة لحديثى الفطام أقوى فى الفخر وأشد من مجرد الحصول على الكنى والألقاب. وعودة إلى بيتينا، وعند تأمل صيغ الجمع فى "أطفالنا"، "إنا"، "قمنا"، وهذا كله يقرر ويقوى ما يرمى إليه الشاعر.
وقوله "بساط العز" استعارة مكنية، حيث شبه "العز" بمكان توضع عليه البسط والفرش ويقعد عليها، وحذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه وهو البساط ، وإثبات البساط إلى "العز" استعارة تخييلية، هى قرينة المكنية.

والطباق بين الفعلين هنا فى البيت الثانى من وسائل فخر الشاعر واعتداده بنفسه وقومه، فمما يفهم من البيت الثانى أن الشاعر وقومه مستقرون على بساط العز والسؤدد، فعندما تحين الفرصة للئام ويقعدون عليه، تجد

الكرام– الشاعر وقومه – قاموا عنه من فورهم. وبذا استطاع الشاعر أن يجعل من الطباق وسيلة من وسائل الفخر والمدح، فليس إذًا الطباق وغيره من صور البديع مجرد حلية لفظية تأتى بعد تمام التعبيرعن المعنى، بل وجدناه هنا وسيلة وطريقة أصيلة برأسها فى التعبيرعن مكنونات النفوس وخلجات القلوب والمشاعر.

ويقول فى مقام التعريف بالأخ الحقيقي:

إِنَّ أَخَاكَ الصِّدْقَ مَنْ كَانَ مَعَكْ ☆☆ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ

وَمَنْ إِذَا رِيبُ الزَّمَانِ صَدَعَكْ ☆☆ شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

الشاعر هنا يضع الأسس للأخوة الصادقة، فالأخ الصادق من كان دائما فى معية أخيه ومن يعرض نفسه للإضرار بها بغية نفع أخيه، ومن إذا ألمت رزايا الدهر بأخيه، فرق شمله ليجمعه.

وفى البيتين طباقان، حيث طابق فى البيت الأول بين الضر والنفع فى قوله "يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكْ" وطابق فى البيت الثانى بين الشتات والجمع فى قوله "شَتَّتَ فِيهِ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ"، والطباقان يكشفان عن القيمة الحقيقية والنفيسة للأخ الصادق، فمن ذا الذى يفعل كل ذلك بنفسه لأخيه إلا إذا كان قد نهل من المعين الصافى للأخوة الصادقة.

وفى البيتين من الأساليب الأخرى التى تتآزرفى تأكيد معنى الطباقين، فقد استهل البيت الأول بالتأكيد بـ"إن" واسمية الجملة، تقريرا للحقيقة التى انفعلت بها نفسه.

وإيثار التعبير بالمصدر فى قوله "الصدق" حرصا وتأكيدا على تمثل تلك الحقيقة دائما. واصطفاء التعبير بالاسم الموصول تنويها وتعظيما للمسند إليه يتواءم والسياق.

وقد اتكأ الشاعر هنا فى الكشف عن ماهية الأخ الصادق من خلال صورتى الطباق بالفعل– اتكأ على الإطناب عن طريق تكرار اسم الموصول "مَنْ"، حيث كرره ثلاث مرات، وهذا التكرار له مغزاه وفحواه، وهو تأكيد وتقرير هذه المعانى، والحق أن العلماء قد تنبهوا – قديما وحديثا – إلى دقة التكرار، وقيمته، ولطف مسلكه، فذكروا أنه "من مقاتل البيان، وأنه فن دقيق المأخذ، وأنه من محاسن الفصاحة، وبينوا مدى الحاجة إليه فى الموضع الذى يقتضيه، وأنه إنما يأتى فى الأمورالمهمة، لتثبت وتتقرر"([1]).

وفى قوله "رِيَبُ الزَّمَانِ صَدَعَكْ" استعارة بالكناية أفصحت عن سطوة الزمان وبلوائه بالإنسان، واصطفاء التعبير بـ"صَدَعَكْ" يتآزر مع الاستعارة فى الكشف عن المراد. وهكذا وجدت كيف عبر الشاعر بطريق الطباق عما فى نفسه، وكان نعم الوسيلة فى ذلك وليس محسنا وزينة للكلام فحسب.

وفى مقام المناجاة يقول من الطويل:([2])

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا ☆☆ تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ

([1])ينظر: الخصائص:٣/١٠١.

([2]) الديوان:١٠٤.

استهل الشاعر مناجاته بالقصر عن طريق التقديم فى قوله "لك الحمد"، وثنى بالنداءات المتوالية المتكررة المحذوفة "يا ذا الجودِ والمجد والعلا" إذ التقدير: يا ذا الجود، ويا ذا المجد، ويا ذا العلا، وفى ذلك التكرار إفراغ للدفقات الإيمانية التى تعتمل فى صدر الشاعر. وهو من تنزيل القريب – سبحانه – منزلة البعيد، إذ استعمل أداة البعيد "يا" فى نداء القريب، وفى ذلك ما فيه من الدلالة على رفعة شأن المنادى – جل وعلا – وعلو قدره، وبعبارة أخرى تنزيل بعد المنزلة منزلة بعد المكان.

وقد أورد الشاعر طائفة من الصفات الرفيعة "المجد، والجود، والعلا، والعطاء والمنع"، ففي اصطفاء تلك الصفات نوع من الثناء والإجلال يتسق ومقام المناجاة، وفي ذلك نوع من الملاءمة القوية بين السياق والمقام، وما البلاغة إلا مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

والطباق هنا بين الفعلين "تُعْطِي" و"تَمْنَعُ" أتى فى خضم مناجاة الشاعر ربه، وقد كشف به جانبا من قدرته سبحانه، وجانبا من سعة ملكه فالذى يملك العطاء والمنع قمين بالعبادة والتذلل بين يديه.

وفى مقام الرضا بما قسم الله – تعالى – له يقول من المتقارب:([1])

رضيتُ بِما قَسَم اللهُ لى ☆☆ وَفَوَّضْتُ أمْرِى إلى خَالِقِى

كَمَا أحْسَنَ اللهُ فِيمَا مَضَى ☆☆ كَذَلِكَ يُحسنُ فِيما بَقِى

([1]) السابق:١١٢.

شاعرنا راض بما قسم الله له، ومفوض أمره إلى خالقه، وعنده من اليقين الذى يجعله يصدع بالبيت الثانى، فهو يوقن أن الله – تعالى – سيحسن له فيما بقى من حياته. والطباق بين الفعلين "مضى" و"بقى" فى البيت الثانى طباق مرشح، حيث اعتمد الشاعر فى صياغته على التشبيه، فهو يشبه ما سيؤول إليه حاله مستقبلا، بما كان عليه حاله فى الماضى من الإحسان إليه من قبل مولاه عز وجل.

واصطفاء الشاعر للفعلين "رضيت" و"فوضت" يصوِّر مدى رضاه وتسليمه المطلق لما آل إليه حاله.

وتأمل التغاير بين الفعلين "أحسن" فى الماضى و"يحسن" فى المضارع وكيف تناغيًا مع الطباق فى إبراز المراد.

وفى مقام حديثه عن حال الدهر معه يقول([1])

لَئِنْ سَاءَنِى دَهْرٌ لَقَدْ سَرَّنِى دَهْرُ ☆☆ وَإِنْ مَسَّنِى عُسْرٌ فَقَدْ مَسَّنِى يُسْرُ

بالقسم المحذوف يقسم الشاعر على حال الدهر معه، فمرة يسوؤه، ومرة يسره، وهو قسم مقدر، حيث تحذف جملة القسم وجوبا إذ كان حرف القسم "اللام" كما هو حاصل هنا([2]).

([1]) الديوان:٧٣.

([2])يقول صاحب المغنى"وحيثما قيل "لأفعلن" أو "لقد فعل" أو "لئن فعل" ولم تتقدم جملة قسم، فثمة جملة قسم مقدرة" مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري – تحقيق/مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله:٢/٦٤٤– دارالفكر– بيروت– ط سادسة–١٩٨٥.

=

وأبرز لنا ذلك القسم المقدر مدى تسليم الشاعر ورضاه عما يتعرض له من حوادث الدهر، وهذا معنى جليل أبرزه هذا النوع من الإنشاء على خلاف ما ذهب إليه البلاغيون من أن هذا النوع من الإنشاء غير الطلبي يعانى من قلة المباحث البيانية المتعلقة به ، لذا أهملوا دراسته والوقوف عنده.

وفى البيت طباقان من نوعين مختلفين، حيث طابق فى الشطرالأول بين الفعلين: "ساءنى" و"سرنى"، وفى الشطرالثانى بين الاسمين "عسر" و"يسر". والطباق الثانى أتى به بمثابة الإيضاح لما فى الطباق الأول، فكأنه يريد القول إن إساءة الدهر له تمثلت فى العسر، وسروره تمثل فى اليسر، فهو بعبارة أخرى طباق مبنى على طباق.

وغني عن البيان أن الطباقين مرشحان، وأتى ترشيح الطباق الأول من خلال صوغه من المجاز العقلي، حيث أسند الإساءة والسرور إلى الدهر، والدهرلا يسيء ولا يسر، بل هو زمان للإساءة والسرور لعلاقة الزمانية. ورشح الطباق الثانى لبنائه على الاستعارتين المكنيتين، إذ شبه كلا من العسر واليسر بإنسان وحذفه وأبقى شيئا من لوازمه وهو المس.

وفى تنكير الشاعر فى هذا البيت لكلمتى"دهر" ما يوحى بالتفخيم والتهويل من شأن ذلك الدهر، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يشير إلى

"والقسم المقدر: نوع من القسم تحذف فيه جملة القسم جوازا أو وجوبا، فتحذف وجوبا إذا كان حرف القسم هو الواو، أو التاء، أو اللام، وتحذف جوازا إذا كان حرف القسم هو الباء". ينظر: النحو الوافي/عباس حسن:٢/٥٠٢- دار المعارف – الطبعة الخامسة عشرة- د.ت.

استسلامه وخضوعه لما ألم به. وتنكيرعسر أوحى بقلته وضآلته، فهو الإنسان المؤمن الراضى بما ينزل به، فمن ثم يرى إعساره – وإن كان عظيما – شيئا قليلا؛ وذلك فى جانب اليسر العظيم الذى يمن عليه به، وقد كشف عن ذلك أيضا تنكيره لكلمة "يسر"، فقد أفاد التنكير مرة تقليلا، ومرة أخرى تعظيما تبعا للمشاعر ومكنونات الأنفس.

ويبدو تسليم الشاعر ورضاه واستكثاره السرور واليسر فى مقابلة الإساءة والإعسار باصطفاء التعبير بـ"إن" التى توحى بندرة وقوع الشيء فى جانب إساءة الدهر له، ووقوع العسر به، وباصطفاء التعبير بـ"قد" التى من معانيها تحقيق وقوع الشيء فى جانب سرور الدهر له، ووقوع اليسر له.

وشاعر كعلي بن أبى طالب – رضى الله عنه – فى إيمانه وتقواه، وهو يتحدث بمثل هذا البيت الذى حوى ما يسوؤه، وما يسره من الدهر، وحوى كذلك ما أصابه من عسر ويسر، إنما يقول ذلك فى همس، وكأنه يتحدث إلى نفسه ويعزيها ويسليها، كشف عن ذلك الهمس تكرار حرف السين فى البيت – وهو من الحروف المهموسة – ثمانى مرات، وذلك فى "ساءنى، سرنى، مسَّنى (بتشديد السين، وتكرار الكلمة)، وعسر، ويسر"، فضلا عما أحدثه هذا التكرار من الموسيقى الداخلية للبيت التى تتجاوب وتتناغى مع الحال التى عليها الشاعر.

وكما يسوء الدهر شاعرنا ويسره، كذلك يضحكه ويبكيه، فيقول فى ذلك من الهزج:([1])

([1]) الديوان:١١٦.

كَمَا أَضْحَكَكَ الدَّهْرُ ☆☆ كَذَاكَ الدَّهْرُ يُبْكِيكَا

على سبيل التجريد يوطن الشاعر نفسه على الأحزان والأتراح، والطباق فى البيت بين "أضحكك" فى الشطر الأول و"يبكيكا" فى الشطر الثانى. وأبان ذلك الطباق عن عدم ثبات الدهر ودوامه على حال، مما يكون له بالغ الأثر فى توطين الإنسان نفسه على تغيره وتقلباته.

والمجازان العقليان الواقعان فى شطري البيت، فالدهر لا يُضحك ولا يُبكى، فهو زمان للإضحاك والإبكاء، جعلا الطباق مرشحا. وقد غاير الشاعر بين الفعلين "أضحك" فى الماضى و"يبكيك" فى المضارع فى إشارة منه إلى أن الإضحاك قليل فى جانب الإبكاء، فهو إبكاء متجدد ومستمر، والصيغتان تتناغيان مع الطباق فى إبراز المراد.

وتكرار حرف"الكاف" فى البيت ست مرات، جعل الموسيقى الداخلية فيه تحيط به من كل جانب.

ومن الطباق بين فعلين، وقد سبق تحليله، ما ورد فى مقام حديثه عن الدهرإذ قال من الرجز:([1])

يَعِيشُ قَوْمٌ وَيَمُوتُ قَوْمُ ☆☆ وَالدَّهْرُ قَاضٍ مَاعَلَيْهِ لَوْمُ

****

ب- الطباق بين الفعلين عن طريق السلب:

([1])الديوان:١٣٦، وينظر البحث:

كما وقع الطباق بين الأفعال عن طريق الإيجاب فى شعرعلي بن أبى طالب – رضى الله عنه – وقع عن طريق السلب، إلا أنه كان أشمل مما حدده الخطيب القزويني لطباق السلب: وهو أن يكون بين فعلي مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي، أو أحدهما مأمور به والآخر منهي عنه، بل شمل الطباق بين الفعلين ومصدرهما واحد، والطباق بين الفعلين ومصدرهما مختلف، وهذا ما ستفصح عنه الصفحات القادمة من البحث، من خلال عرض نماذج لذلك اللون من الطباق.

فمن الطباق بين فعلين عن طريق السلب ومصدرهما واحد ما جاء فى قوله فى مقام حديثه عن صفاء المودة من الوافر:([1])

وَكُلُّ مَوَدَّةٍ لله تَصْفُو ☆☆ وَلاَ يَصْفُو مَعَ الفِسْقِ الإِخَاءُ

يؤكد الشاعرعلى أمر مهم وثابت ألا وهو صفاء المحبة حال خلوصها لله، وأن الفسق لا تصفو معه أخوة.

والطباق هنا بين الفعل "تصفو" المثبت والفعل "لا يصفو" المنفي، وكلاهما من مصدر واحد، وقد أبان هذا الطباق عن أهمية المودة والمحبة حال كونها خالصة لله، وأبان أيضا عن انعدام الصفاء فى الإخاء إذا ما شابه فسق وخروج عن الجادة.

والتعريف بالإضافة فى قوله "وكل مودة" للإيجاز والاختصار، وقد قالوا "إنَّ التعريف بالإضافة يكون لأنّه ليس للمتكلم طريق إلى إحضاره في ذهن السامع سوى ذلك، رغبة في الإيجاز"([1]).

([1]) الديوان:١٤.

واصطفاء التعبير بصيغة المضارع "تصفو" فى الشطرالأول كشف عن تجدد واستمرار ذلك الصفاء وهو ما يتواءم مع المراد.

وتقديم الجار والمجرور"مع الفسق"على الإخاء، فيه من التنفير مافيه تحذيرا وتخويفا من الوقوع فى ذلك.

---

(١)ينظر:مفتاح العلوم:١٨٦.

ويقول فى مقام حديثه عن تغلب الفقر عليه من الكامل:([1])

غَالَبْتُ كُلَّ شَدِيْدَةٍ فَغَلَبْتُهَا ☆☆ وَالْفَقْرُغَالَبَنِيْ فَأَصْبَحَ غَالِبِي

إن أبده يصفح وإن لم أبده ☆☆ يَقْتُلْ فَقُبِّحَ وَجْهُهُ مِنْ صَاحِبِ

يستهل الشاعر البيت بتلك العبارة القوية المزلزلة "غَالَبْتُ كُلَّ شَدِيْدَةٍ فَغَلَبْتُهَا" التى تكشف لأول وهلة عن رجل عرمرم لا يغلب، وتلك براعة شاعرية تدخله ميدان براعة الاستهلال بكل أريحية، ولكن سرعان ما يزيل الشاعر تلك الصورة الذهنية عنه فى خيال سامعيه بأنه رجل صلب شجاع لا يقهر، أزال ذلك بقوله فى الشطر الثانى "وَالْفَقْرُغَالَبَنِيْ فَأَصْبَحَ غَالِبِي" فلم يهزمه ويهده إلا الفقر.

وفى البيتين طباقان، الأول طباق بين مختلفين بين فعل فى قوله "فَغَلَبْتُهَا"، وبين اسم فى قوله "غَالِبِي"، وقد كشف هذا الطباق عن سطوة الفقر وجبروته، فالشاعر قد غلب كل شديدة إلا الفقر، فهو الذى غلبه.

والطباق الثانى بين الفعل المثبت "أبده" والفعل المنفي "لم أبده"، وقد كشف هذا الطباق عن المزيد لما حواه الطباق الأول، ذلك الذى أماط اللثام عن شدة بأس الفقر. ويحكى الطباق الثانى أن طبيعة ذلك الفقر من الصعوبة بمكان، فالشاعر إن أبدى وأظهر الفقر الذى ألم به للناس وجد الفقر مصفحا وراضيا عنه، أما إذا أخفاه عن الناس ولم يبده لهم يكاد يقتله ويودى به؛ لأجل ذلك ما لبث الشاعر أن دعا عليه بقوله "فَقُبِّحَ وَجْهُهُ مِنْ صَاحِبِ"، فهذا القول منه خبر فى موضع الإنشاء.

([1]) الديوان:٢٧.

وفى قول الشاعر "يقتل" حذف للمسند إليه وذلك لضيق المقام، وليذهب السامع بخياله كل مذهب، ففيه أيضا من الترويع والتفظيع ما لا يخفى.

والبناء للمجهول فى قوله "فقبح وجهه" للإيجاز والاختصار، وفيه صون للسان عن ذكره مرة أخرى.

وتأمل تكرار مادة "غلب" فى البيت الأول أربع مرات من قبيل "غالبت، فغلبتها، غالبنى، غالبى" والتى أفصحت عن ذلك الصراع المرير، ما بين الشدائد من ناحية، وبين الفقر من ناحية أخرى.

ويقول فى مقام الحديث عن مداراة الرجال من الوافر(١)

سَلِيمُ العِرْضِ مَنْ حَذِرَ الجَوَابَا ☆☆ وَمَنْ دَارَى الرِّجَالَ فَقَدْ أَصَابَا

وَمَنْ هَابَ الرِّجَالَ تَهَيَّبُوهُ ☆☆ وَمَنْ يُهِنِ الرِّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

البيتان يحكيان ما يحكيان عن رجاحة عقل الشاعر – رضى الله عنه – فيقرر أن الذى يحذر الجواب ولا يعرض نفسه للقدح هو محافظ على عرضه من السب والشتم والقدح، وكذلك الذى يدارى الرجال هو المصيب، والمهاب من يهاب الرجال، وغير المهاب من لا يقدر الرجال وينزلهم منازلهم.

والطباق فى البيت الثانى بين "هاب" وهو فعل مثبت، وبين "فلن يهابا" وهو فعل منفي. وقد أبان الطباق عن قيمة أن يحتفظ الإنسان لنفسه بالمهابة فى عيون الرجال وأن ذلك لا يتأتى إلا بتقدير الرجال وإنزالهم

---

(١) الديوان: ٣٠.

منازلهم. وكأنى بالشاعر قد نظر، بل وأجال النظرفى المقولة القائلة: عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، حتى صاغ البيت الثانى الذى يقطر حكمة ورجاحة عقل.

وقد تكرر فى البيتين ذكر "الرجال" ثلاث مرات؛ وذلك راجع إلى انصباب الحديث كله عليهم فلا غرو فى ذلك، بل هو مما يستدعيه السياق ويتطلبه المقام.

كما تكرر حرف الهاء فى البيت الثانى أربع مرات فأسمعنا صوت موسيقاه جلية واضحة.

ويقول فى مقام الحديث عن الحبيب الذى لا يغيب من الوافر([1])

حبيبٌ ليس يعدله حبيبُ ☆☆ وَمَا لِسِوَاهُ في قَلْبِي نَصِيْبُ

حَبِيْبٌ غَاْبَ عَنْ عَيْنِي وَجِسْمِي ☆☆ وَعَنْ قَلْبِي حَبِيْبِي لا يَغِيْبُ

بلغ الشاعر فى حبه لمحبوبه هذا درجة غير متناهية، فليس له عدل ولا مثيل، وليس لأحد سواه فى قلبه مكان، والطباق فى البيت الثانى بين الفعل "غاب" المثبت، والفعل "لايغيب" المنفي، وكشف الطباق عن وله وتدله من الشاعر بمحبوبه، فهو لا يغيب عن قلبه البتة، حتى ولوغاب عن عينه وجسمه، فهو محبوب ذو صفات خاصة لا ينبغى أن تكون فى غيره، حيث قوله "حبيبٌ ليس يعدله حبيبُ"، ويرجح البحث أن يكون المراد بالحبيب فى هذين البيتين الذات الإلهية؛ وذلك لمكانة القائل فى الإسلام، ولقوله:

([1]) السابق:٤٢.

حبيبٌ ليس يعدله حبيبُ ☆☆ وَمَا لِسِوَاهُ في قَلْبِي نَصِيْبُ

وكذلك لقوله: حَبِيْبٌ غَابَ عَنْ عَيْنِي وَجِسْمِي..... فالله – جل وعلا يغيب عن العيون، وسائر الجسم، فليس تراه العيون، ويلحظ فى قوله السابق ذكر للعام بعد الخاص، حيث ذكر العين ثم الجسم؛ وذلك لإفادة العموم مع العناية بشأن ذلك الخاص.

وفى أول البيتين حذف للمسند إليه فى قوله "حبيب"، إذ التقدير: هو حبيب، ولمكانة ذلك المحبوب حذفه الشاعر من كلامه صونا له عن اللسان، فهو أجل من أن ينطق اللسان باسمه؛ وذلك تعظيما له وتفخيما، ومما لا يخفى أن "الحذف غرض يقصد إليه الأدباء، وأرباب الكلام على اختلاف صناعتهم؛ لما له من ملاحة، وطرافة، وعظيم الأثر فى نفوس السامعين"(١).

هذا وقد اتكأ الشاعر فى بيتيه على فن التكرار، حيث كرر كلمة "حبيب" أربع مرات، وهذا يتناغى مع المقام والسياق، فالشاعر يستعذب ذكر تلك الكلمة، علاوة على تلذذه بذكرها، كما كرر ذكر القلب مرتين، فى إشارة إلى مكمن الهوى ومصدره، وبذا تتجاوب الأساليب قاطبة فى تقوية وتأكيد ما رمى إليه الطباق.

ويقول فى مقام النصح والوعظ من الوافر(٢)

تَنَامُ وَلَمْ تَنَمْ عَنْكَ المَنَايَا ☆☆ تَنَبَّه للمنية يا نَؤُومُ

---

(١) المقاييس البلاغية والنقدية فى البيان والتبيين، د/ فوزى السيد عبد ربه: ٢٣٥.

(٢) الديوان :١٤٤.

الطباق فى أول البيت بين الفعل "تنام" المثبت والفعل "لم تنم" وقد أفصح الطباق عن الغفلة المطبقة التى يتقلب فيها الإنسان، والطباق مرشح إذ ولد من رحم الاستعارة المكنية، حيث شبه المنايا بإنسان وحذفه وأبقى شيئا من لوازمه، وإثبات النوم لها استعارة تخييلية، وهى قرينة للمكنية، وقد أسهمت الاستعارة فى تقوية أواصر الطباق، فإذا كانت المنايا لا تغفل عنك أيها الإنسان فكيف تغفل أنت عن آخرتك؟!

والأمر "تنبه" كشف بمادته والسياق الوارد فيه عن التنبيه، والنداء فى آخر البيت أفاد التنبيه أيضا فالمنادى غافل لاه، والشاعر يوقظه بذاك النداء مع الأساليب الأخرى.

واصطفاء صيغة المبالغة "نـَوُومُ" يتواءم كل المواءمة مع معانى الغفلة التى حطت وألمت بالمخاطب، الأمر الذى جعل الشاعر يُجيِّش جيشا من الأدوات لإيقاظه من سباته العميق، فكان الطباق، والاستعارة، والأمر، والنداء، وصيغة المبالغة.

هذا ولم يخل البيت من موسيقى داخلية – علها مما يسهم فى الإيقاظ – جراء تكرار حرف الميم ست مرات.

وفى المقام نفسه يقول من الطويل([1])

ويومُكَ إِنْ عَايَنْتَهُ عَادَ نَفْعُهُ ☆☆ إِلَيْكَ وَمَاضِي الأَمْسِ لِيس يَعُودُ

([1]) السابق: ٦١.

الطباق بين الفعل "عَادَ" المثبت والفعل "ليس يَعُودُ" المنفي، وقد أبان الطباق عن أهمية الاهتمام بالوقت، فاليوم الذى تتنبه له وتعنى به وتفيد منه عادت ثمرة نفعه إليك، أما أمس الدابر فلن يعود.

وفى البيت طباق آخر بين "يومك" و"الأمس" فاليوم يعنى الحال والحاضر، والأمس يعنى الماضى، وبين الحال والماضى تضاد، فهو طباق بين الظروف موجب، وهو يسهم بدور كبير فى تقوية المعانى التى كشف عنها الطباق السابق الذى كان بين فعلين.

وقد بنى الشاعر بيته على أسلوب الشرط والجواب تقوية وربطًا للكلام بعضه ببعض، وفى صياغة البيت على الشرط وجوابه ما يضفى على معناه من الصدق والتأكيد ما يضفى، فوق ما فيه من إحكام وقوة بنيان، فيشد بعضه بعضا كالبنيان المرصوص.

ومن طباق السلب بين فعلين ليسا من مصدر واحد قوله فى مقام ينصح فيه بعدم ذكر النساء؛ وذلك لانعدام الوفاء عندهن، فيقول من الرجز:([1])

دَعْ ذِكْرَهُنَّ فَمَا لَهُنَّ وَفَـاءُ ☆☆ رِيحُ الصَّبَا وَعُهُودُهنَّ سَوَاءُ

يَكْسِرْنَ قَلْبَكَ ثُمَّ لاَ يَجْبُرْنَهُ ☆☆ وقُلُوبُهُنَّ مِنَ الـوَفَـاءِ خَـلَاءُ

ينصح الشاعر بتجنب ذكر النساء، ويذكر حيثيات حكمه، بأنهن ليس لهن وفاء، ويكسرن القلوب ثم لا يجبرنها.

([1]) السابق:١٤.

والطباق فى البيت الثانى بين الكسر المثبت "يَكْسِرْنَ" والخبر المنفي "لاَ يَجْبُرْنَهُ"، وهو طباق سلبي بين فعلين ولكنهما ليس من مصدر واحد.

وقد كشف ذلك الطباق عن مدى سطوة النساء حينما يوقع فى هواهن فيكسرن ويأسرن القلوب، ثم لا يفين ولا يجبرن كسر تلك القلوب.

وفى البيتين من الأساليب التى تقرر وتؤكد معنى الطباق، فالأمر"دع" أبان عن النصح والإرشاد، والخبر المنفي فى قوله "فَمَا لَهُنَّ وَفَاءُ" تعليل فى موضعه لتلقى وتقبل النصيحة بكل حرص على اتباعها، والكناية عن سرعة زوال الشيء وعدم بقائه؛ وذلك فى قوله "رِيحُ الصَّبَا وَعُهُودُهنَّ سَوَاءُ" تتآزر مع المراد من الخبرالمنفى، بل هى شرح وإيضاح له، وتكرارمعنى عدم الوفاء فى قوله "وقُلُوبُهُنَّ مِنَ الوَفَاءِ خَلَاءُ"، كل ذلك يؤكد ويقررمعنى الطباق فى البيت.

****

(ج) الطباق المعنوي أو الخفي بين الأفعال:

كما ورد الطباق بين الأفعال ظاهرا وواضحا فى شعره- رضى الله عنه- ورد خفيا أو معنويا، فمن ذلك قوله فى مقام حديثه عن حال الفقير المعدم من الوافر:([1])

وَيْزرِى بِالفَتَى الإِعْدَامُ حَتَّى ☆☆ مَتَى يُصِبِ المَقَالَ يُقَلْ: أَسَاءَ!

([1]) السابق:١٥.

الفقر يزرى بالفتى، حتى إذا قدر له أن يقول مقالا فيصيب فيه، حكم عليه بأنه أساء، مع أنه مصيب، وما ذلك إلا بسبب فقره وإعدامه.

وبين الفعلين "يصب" و"أساء" طباق، والإصابة ضدها الخطأ، ولما كان الوقوع فى الخطأ مما يوجب الإساءة صح الطباق.

وقد كشف الطباق عن مدى سطوة الإعدام بالفتى، ففى حال كونه مصيبا يوسم ويوصم بالخطأ، فهل بعد ذلك من زراية.

والتعبير بالمضارع فى قوله "ويزرى" دل على تجدد واستمرار تلك الزراية. وفى إسناد الزراية إلى الإعدام مجاز عقلي علاقته السببية، وبناء الطباق من خلال جملة الشرط أكد المعانى وقررها.

ويقول فى مقام حديثه عن إقبال الدنيا وإدبارها من الطويل([1])

فَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسُرُّهُ ☆☆ فَسَوْفَ لَعَمْرِى عَنْ قَلِيلٍ يَلُومُهَا

الطباق بين "يحمد" و"يلومها" والحمد يضاده الذم، ولكن لما كان الذم فيه ما فيه من اللوم صح الطباق، وقد كشف هذا الطباق عن حتمية عدم ثبات الدنيا على حال، وأن من طبيعتها التغير والتبدل، فمن ثم لا ينبغى الاطمئنان إليها.

والطباق فى البيت مرشح حيث جاء متضمنا فى جملة القسم "لعمرى" وهو إنشاء غير طلبي يؤكد به الشاعر تلك المعاني التي احتواها هذا البيت،

([1]) السابق:١٤٠.

والقسم: "يرد ليؤكد به المعنى المراد، إما لأنّه مما يشك فيه، أو مما يعز وجوده، أو ما يجري هذا المجرى"([1]).

ولأنَّ نكات البلاغة تتزاحم ولا تتعارض – فإنَّ من أنواع القسم وأغراضه أنّه يأتي ليقرع أذن السامع فيصغي، وينتبه، ويترقّب ما بعده ، بخلاف ما لو ألقى الكلام بدونه – فإنَّ القسم هنا يأتي متناغياً ومتوائماً مع ما كشفه الطباق من عدم الاطمئنان إلى الدنيا.

ويقول فى مقام الابتهال والمناجاة من الوافر:([2])

فَإِنْ عَذَّبْتنى فالذَّنْبُ ذَنْبِي ☆☆ وإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ به جَدِيْرُ

الطباق بين "عَذَّبْتنى" و"تَغْفِرْ" وضد العذاب الرحمة، ولما كان غفران الذنوب فى حد ذاته رحمة صح الطباق، وقد كشف الطباق عن مدى التذلل للعفو الغفور، وطلب العفو من عقابه الأليم، فهو وحده – جل فى علاه – الجدير بالعفو والغفران.

وقد اتكأ الشاعر فى صياغة بيته السابق، وبنائه الطباق على أسلوبي شرط ، وإذا كان فى صياغة البيت على الشرط وجوابه ما يضفى على معناه من الصدق والتأكيد ما يضفى، علاوة على ما فيه من إحكام وقوة بنيان فيكون كلوحة واحدة متآزرة، فكيف إذا بنى البيت على أسلوبي شرط وليس أسلوبا واحدا؟!!

****

([1]) ينظرالمثل السائر:٢/٧٢.

([2]) الديوان:٨٥.

المبحث الثالث

الطباق بين المختلفين

فى شعر علي بن أبى طالب رضى الله عنه

الطباق بين المختلفين الاسم والفعل قد ورد فى شعرعلى بن أبى طالب – رضى الله عنه – وهذا على النقيض مما ارتآه بعض العلماء كابن القيم وابن السبكي([1]) من شرطهم أن يكون الطباق بين متماثلين، اسم واسم، فعل وفعل، والواقع يجافى ذلك، فالقرآن الكريم الأنموذج الأعلى فى الفصاحة والبلاغة لم يخل منه.

والحقيقة أن الطباق بين الأفعال، والطباق بين الأسماء ورد فى شعر شاعرنا ، ورد عن طريق الإيجاب والسلب، كذلك فإن الطباق المختلف الضدين وقع أيضا عن طريق الإيجاب والسلب.

(أ)الطباق بين المختلفين عن طريق الإيجاب:

من ذلك قوله فى مقام حديثه عن مآل قلة المال وكثرته من الطويل:([2])

يُغَطِّي عُيوبَ المَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ ☆☆ يُصَدَّقُ فِيمَا قَالَ وَهْوَ كَذُوْبُ

وَيُزْرِي بِعَقْلِ المَرْءِ قِلَّةُ مَالِهِ ☆☆ يُحَمِّقُهُ الأقْوَامُ وَهْوَ لَبِيْبُ

([1]) ينظر الفوائد المشوق:١٤٥، ومواهب الفتاح:٤/٢٨٧(ضمن شروح التلخيص)، والبحث:١٠.

([2]) الديوان:٢٧.

على مقياس كثرة المال وقلته يوضح الشاعر هنا أن كثرته تحجب العيوب، وقلته تزرى بالعقول، ثم يوضح كيفية حجب العيوب، والإزراء بالعقول.

وفى البيت ثلاثة طباقات، ففى البيت الأول طابق بين الفعل "يُصَدَّقُ" والاسم "كذوب"، وقد كشف هذا الطباق عن مفعول السحر لذلك المال من خلال الحكم على الكاذب بأنه صادق فيما يقول، وهذا فيه ما فيه من الإشارة إلى شدة سطوة هذا المال على عقول البشر.

والطباق الثانى ورد فى البيت الثانى بين الفعل "يُحَمِّقُه" والاسم "لَبِيْبُ"، وكما كشف الطباق الأول عن تصديق الكذوب بسبب كثرة ماله، كشف الطباق الثانى عن رمي اللبيب الفطن بالحمق بسبب قلة ماله.

والتعبير بالجمع فى قوله "الأقوام" كشف عن ذلك الجم الغفير من الناس المصابين بداء سحر المال، وليس فئة قليلة فحسب.

والطباق الثالث بين "كَثْرَةُ مَالِهِ" فى البيت الأول وقوله "قِلَّةُ مَالِهِ"، كشف هذا الطباق عن طبيعة المال لدى الإنسان فهو ما بين مد وجزر، قلة وكثرة، لا يثبت على حال.

والطباقات الثلاثة جميعها مرشحة حيث اعتمد فى صياغتها على كثير من الصور والأساليب البلاغية، فقد اتكأ الشاعر على استعارتين مكنيتين، أما الأولى فمن خلال تشبيه كثرة المال بإنسان، ثم حذف المشبه به، وأبقى شيئا من لوازمه، وهو التغطية على العيوب، وتتآزر الاستعارة مع الطباق الوارد على إثرها فى التأكيد على مراد الشاعر.

والاستعارة الثانية كانت من خلال تشبيه قلة المال بإنسان – أيضا – ثم حذف المشبه به وأبقى شيئا من لوازمه، وهو الإزراء بالعقل، وتتناغى تلك الاستعارة مع الطباق الوارد على إثرها فى التأكيد على مراد الشاعر.

كما اعتمد على أسلوب الفصل، إذ فصل الشاعر بين شطري البيت الأول؛ وذلك لشبه كمال الاتصال، حيث أثار الشطرالأول سؤالا مؤداه: كيف تغطى كثرة المال عيوب المرء؟ فتمخضت الإجابة من الشطرالثانى فقيل:"يُصَدَّقُ فِيمَا قَالْ وَهْوَ كَذُوْبُ"، كما فصل أيضا بين شطري البيت الثانى للسبب نفسه، حيث أثار الشطر الأول سؤالا فحواه: وكيف تزرى قلة المال بالعقل؟ فكان الجواب فى الشطر الثانى فى قولـه: "يُحَمِّقُه الأَقْوَامُ وَهْوَ لَبِيْبُ".

وفى البيت عدة إضافات، كالإضافتين في قوله "عيوب المرء" وقوله "بعقل المرء"، فقد كشفتا عن الإيجاز والاختصار، وكقوله "كَثْرَةُ مَالِهِ" و"قِلَّـةُ مَالِهِ" والغرض من ورائهما الإيضاح والبيان، وكذلك إضافة الضمير إلى المال فى قوله "ماله" مرتين، وقد أفادتا الاختصار والإيجاز، علاوة على التخصيص.

ويقول فى مقام التحذير من العدو من الكامل:([1])

واحْذَرْهُ يوما إِنْ أتى لك باسما ☆☆ فاللَّيْثُ يَبْدو نابُه إذْ يَغْضَبُ

البيت وارد فى سياق الحديث عن العدو، والشاعر يحذر من ابتسامته، فوراءها ما وراءها من اقتراب الأذى والضرر.

([1]) السابق:٤٥.

وقد طابق الشاعر بين الاسم "باسما" وبين الفعل "يغضب"، وأماط الطباق هنا اللثام عن طبيعة العدو، فهو يبتسم لك ريثما يخطط لك بإيقاع الضرر بك.

والأمر"احْذَرْهُ"هو جواب مقدم للشرط الآتى فى قوله "إِنْ أتى لك باسما"، وهذا التقديم أفصح عن مدى حرص الشاعرعلى من يقدم له ذاك النصح. وقد أفاد الأمر التحذير والنصح والإرشاد، وهو المعنى الذى يتناغى والمعنى المراد من الطباق.

وأسلوب الشرط ورد بـ"إن" التى تدل على ندرة وقوع الأمروحصوله، وقد وفق الشاعر فى ذلك أيما توفيق، فقد ندر أن تجد شخصا عاديا– ليس عدوا– يلقاك مبتسما بغية حصوله على صدقة كما أخبر بذلك النبى– صلى الله عليه وسلم – فكيف بالعدو إذن؟!

والطباق فى البيت مرشح لما مر من ذكر للأساليب البلاغية التى فيه، ولبناء البيت برمته على التشبيه الضمني، فهو يشبه حال العدو فى ابتسامته لمن يعادى وهو يضمر الشر، بحال الليث الذى يبدو نابه وكأنه مبتسم، وهو فى الحقيقة يستعد للانقضاض على فريسته.

ويقول فى مقام الهجر من الكامل([1])

صَرَمَتْ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ ☆☆ والـدَّهْـرُ فيـه تَصَـرُّمٌ وَتَقَلُّـبُ

([1]) الديوان:٤٣.

هذا هو أول بيت فى القصيدة، وليس فيها ما يشير إلى أنَّ هناك من يحاوره الشاعر، فهو أسلوب مبني على التجريد، الذي يتيح للشاعر أن يصول ويجول ويسائل ويجيب.

والطباق فى البيت بين الفعل "صَرَمَتْ" والاسم "وَصْلِكَ" وكشف الطباق عن خيبة وحزن جم ألمّ بالشاعر جراء هذا الهجر.

والطباق هنا مرشح ؛وذلك لأن قوله "صَرَمَتْ حِبَالْكَ" استعارة تصريحية تبعية، حيث شبه هجر المحبوبة له بالصرم- وهو القطع والهجر- ثم اشتق من الصرم "صرمت" وأبانت الاستعارة عن شدة هول ذلك الهجر الذى يتآزر مع الطباق فى إبراز المراد.

والشطر الثانى تذييل جار مجرى المثل أتى به الشاعر تسلية وتعزية لنفسه مما يعانى ويلاقى.

ويقول فى مقام الحث على الجوع من الطويل([1])

تَجَوَّعْ فَإِنَّ الجُوعَ مِنْ عَمَلِ التُّقَى ☆☆ وَإِنَّ طَوِيلَ الجُوعِ يَوْمًا سَيَشْبَعُ

يرى الشاعر أن الجوع مما يعين على التقوى، والطباق هنا بين الاسم "الجوع" وبين الفعل "سيشبع"، وأفصح الطباق عن أهمية أن يجيع الإنسان نفسه من خلال صوم أو نحوه، ففى الجوع تضييق لمسار الشيطان فى عروق الإنسان، ولعل شاعرنا أفاد تلك المعانى من خلال سماع ذلك من حبيبه وحبيبنا صلى الله عليه وسلم.

([1]) السابق:١٠٧.

وقد كرر الشاعر الجوع فى البيت ثلاث مرات؛ وذلك تأكيدا لهذه المعانى وتقريرها.

وفى قوله "فَإِنَّ الجُوعَ مِنْ عَمَلِ التُّقَى" تأكيد للخبر، وقد يكون التأكيد هنا ضربًا من أضرب الخبر فيكون طلبيا، إذ ربما تجد كثيرا من الناس لا يقتنعون بذلك فجاء لهم الخبر مؤكدا، وقد يكون فيه خروج للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيل غير المنكر منزلة المنكر؛ لعدم قيامه بتلك الأمور فكأنه ينكرها.

(ب) الطباق بين المختلفين عن طريق السلب:

وفى مقام الفخر، يحمل على الوليد بن المغيرة فيخاطبه قائلا من المتقارب:([1])

خَسِرْتُم بِتَكْذِيبِكُمْ لِلرَّسُولِ ☆☆ تَعِيبُونَ مَا لَيسَ بِالعَائِبِ

الطباق بين الفعل المثبت "تَعِيبُونَ" والاسم المنفي "لَيسَ بِالعَائِبِ" وهو طباق كاشف لسوء ما انطوت عليه نفوس هؤلاء، فبم يوصف من يعيب ما ليس فيه عيب؟سوى أن قلبه مفعم بكل حقد، وكل حسد.

واصطفاء التعبير بالماضى "خَسِرْتُم" دل على ثبات ذلك الخسران، والطباق مرشح حيث جاء من خلال أسلوب إنشائي طلبى، تمثل فى الاستفهام المحذوف الأداة، والتقدير "أَتَعِيبُونَ مَا لَيسَ بِالعَائِبِ؟" وهو استفهام إنكاري توبيخي، يتناغى وما أمه الطباق.

([1]) السابق:٣٣.

وفى مقام الابتهال والمناجاة يقول من الوافر:([1])

أَيَا مَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ مُجيْرُ ** بِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ أَسْتَجِيرُ

الطباق بين الاسم المنفي "مجير" فى الشطر الأول، وبين الفعل المثبت "أَسْتَجِيرُ" وقد كشف الطباق عن مدى التذلل للعفو الغفور، واستغفاره وطلب العفو من عقابه الأليم.

والنداء للبعيد فى البيت مع أن المنادى – سبحانه – قريب منا؛ وذلك تعظيما وإجلالا وهو ما يتسق والمقام.

****

([1]) الديوان:٨٥.

المبحث الرابع

الطباق بين الحروف

فى شعر علي بن أبى طالب رضى اللّه عنه

المتصفح فى أدبنا العربي بجناحيه الشعر والنثر لا يعدم الطباق بين الحروف، والناظر فى تراثنا البلاغي يجد عزوفا من البلاغيين عن ذلك النوع من الطباق، حتى أنك إن جهدت نفسك، ونقبت فى كتبهم ومؤلفاتهم لن تجد سوى مثالين يتيمين أشير إليهما فى التمهيد لهذا البحث.

ويمكن القول من خلال دراسة شعر ذلك الشاعرأنى وجدت طباقا بين الحروف ورد فى مواطن كثيرة استدعاها السياق وتطلبها المقام، وكان هناك طباق بين الحروف عن طريق الإيجاب، وعن طريق السلب.

(أ) الطباق بين الحروف عن طريق الإيجاب:

يقول فى مقام حديثه عن يوم القيامة من المتقارب:([1])

تَرَى النَّفْسُ مَا عَمِلَتْ مُحْضَرًا ☆☆ وَلَوْ ذَرَّةً كَانَ مِثْقَالَهَا

يُحَاسِبُهَا مَلِكٌ قَادِرٌ ☆☆ فَإِمَّا عَلَيها وإِمَّا لَهَا

يحكى الشاعر جانبا مما يحدث فى مثل هذا اليوم المهيب، يقوم الناس لرب العالمين

([1]) الديوان: ١٣١.

والطباق هنا وقع فى البيت الثانى بين "عليها" الذى أفاد الشر بتحمل تبعة عمل السيئات، وبين "لها" الذى أفاد الخير بتلقى جزاء فعل الحسنات. والطباق هنا نقلنا من عالم الدنيا إلى عالم الآخرة والموازين قد نصبت، والصحف قد نشرت، وكشف لنا عما ينبغى إعداده لذلك اليوم، فالكل يرجوا "لها" وليس "عليها".

والبيت الأول بشطريه مقتبس من القرآن الكريم، فقوله "تَرَى النَّفْسُ مَا عَمِلَتْ مُحْضَرًا" مقتبس من قوله تعالى "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا"(١)،

وقوله "وَلَوْ ذَرَّةً كَانَ مِثْقَالَها" مقتبس من قوله تعالى "فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ"(٢)

واصطفاء هذين الاسمين الحَسَنيْن فى هذا المقام "ملك، قادر" يتناغيان وذاك الموقف المهيب، والتعبيربـ"إما" أشعرك بالتقسيم والتفصيل.

ويقول فى مقام تعجبه من الزمان من الخفيف:(٣)

عَـجَـبا لِلزَّمانِ فِي حَالَتَيْهِ ☆☆ وبَـلاءٍ ذَهَـبْـتُ مِـنْـهُ إِلَـيـهِ

يتعجب الشاعر من حالتى الزمان معه، السراء والضراء، وإذا فر من بلاء وجد نفسه دون أن يشعر فى البلاء الذى فر منه.

الطباق بين "منه" وهو لابتداء الغاية، وبين "إليه" وهو لانتهاء الغاية.

---

(١) سورة آل عمران من الآية:٣٠.

(٢) سورة الزلزلة من الآيتين:٨، ٧.

(٣) الديوان:١٥٦.

وقد كشف الطباق عن شيوع البلاء والضيق فى دنيا الشاعر فيهرب من البلاء ليجد نفسه فيه مرة أخرى.

وفى قوله "حَالَتَيْهِ" حذف، فهذا مثنى مبهم كان ينبغى تفسيره بمفردين ليكون توشيعا يوضح به تلك الحالتين، ولكن الشاعر آثر الحذف اعتمادا على فهم وذكاء السامع، إذ ليس للزمان سوى حالتين؛ إما شدة، وإما رخاء. ففى هذا الحذف استثارة للذهن ولفت وشد للانتباه، وقد يكون لضيق المقام، حيث أحاط به البلاء من كل جانب.

وفى قوله "وبلاء" فى الشطر الثانى حذف أيضا، دل عليه دليل، وهو ما ذكره فى أول البيت، وكأنه يقول "وعجبا لبلاء"، وتنكير"بلاء" أتاح له أن يصفه بالجملة التى بعده.

ومنه قوله فى مقام حديثه عن سكان الأرض من السريع:([1])

نحن بنو الأرض وسكانها ☆☆ منها خلقنا، وإليها نعود

(ب) الطباق بين الحروف عن طريق السلب:

يقول فى مقام التضرع والدعاء من الرجز:([2])

إِلَيْكَ رَبِّى لَا إِلى سِوَاكَا ☆☆ أَقْبَلْتُ عَمْداً أَبْتَغِى رِضَاكَ

فى خضوع وتذلل يلهج الشاعر متضرعا إلى مولاه مبتغيا رضاه، والطباق بين "إليك" المثبت، وبين "لَا إِلى" المنفي، وكشف الطباق عن إخلاص

([1]) الديوان:٥٧.

([2]) السابق:١١٦.

الشاعر فى عبادته، والدعاء مخ العبادة، فلا يدعو سوى ربه- جل وعلا - المتفرد بالعبادة .

وقوله "إِلَيْكَ رَبِّى" قصر بطريق التقديم، دل على إفراده سبحانه بالتوجه إليه، وذلك ما يتواءم والغرض من الطباق، فمن ثم هو طباق مرشح.

ويقول مفاخرًا بمروءته من البسيط:([1])

ولا أقولُ "نعم" يومًا فأتبعهُ ☆☆ بـ"لا" ولو ذَهَبَتْ بالمال والولد

الطباق بين "نعم" المنفي، وبين "لا" المثبت، وقد كشف ذلك الطباق عن مدى مروءة الشاعر وكرمه ونبله، فهو لم يقل أبدا فى حياته "نعم" ثم تراجع عنها بـ"لا".

يؤكد ذلك المعنى قوله "ولو ذَهَبَتْ بالمال والولد"، أي، ولو كانت كلمة "نعم" التى خرجت من فيه ستكلفه ماله وولده، فلن يتبعها أبدا بـ"لا".

وفى قوله "ذهبت" كناية عن الحرف "نعم"، تلك الكناية جعلت من الطباق طباقا مرشحا.

وتقديم "المال" على "الولد" تقديم للمهم على الأهم، ولعل القافية هى التى اضطرته لذلك.

****

([1]) السابق:٦٥.

المبحث الخامس

الجديد من صور الطباق

فى شعر علي بن أبى طالب رضى الله عنه

من خلال استقراء ديوان الشاعر استقراء متأنيا ألفيت فيه صورا جديدة فى الطباق لم يشر إليها العلماء قبل ذلك، من هذه الصور الطباق بين الظروف، والطباق بين اسم المفعول واسم الفاعل، وبين الفعل المبنى للمجهول واسم المفعول، والطباق بين الفعل المبنى للمجهول وصيغة المبالغة "فعول"، والطباق بين ضمير المخاطب وضمير الغائب، وبين اسم الفاعل والصفة المشبهة.

(أ) الطباق بين الظروف:

من ذلك قوله فى مقام رثاء النبي صلى الله عليه وسلم من الطويل:([1])

وَكُنَّا بِمَرْآهُ نَرى النُّورَ وَالهُدَى ☆☆ صَبَاحاً مَسَاءً رَاحَ فينَا أوِ اغْتَدَى

فى البيت طباقان حيث طابق أولا: بين "صباحاً" و"مساءً"، وطابق ثانيا بين "راح" و"اغتدى"، وقد أفصح الطباقان عن ديمومة الهدى والنور اللذين كان يرفل فيهما الصحابة- رضوان الله عليهم - برؤيتهم النبي – صلى الله عليه وسلم – فى الصباح والمساء، وفى رواحه وغدوه فيهم حال حياته.

([1]) الديوان:١٦.

ولأجل تصوير ذلك أتى الشاعر بأربعة ظروف فى بيت واحد، ثم طابق فيما بينها.

واصطفاء التعبير بصيغة الماضى"وَكُنَّا" أبان عن كم الحزن والأسى الذى غدا يسيطر عليهم حتى لفهم الحزن لفا، فكأنهم لا يرون الآن – بعد موته – لا نورا ولا هدى.

وفى قوله "تَرى النُّورَ وَالهُدَى" استعارة تصريحية أصلية حيث شبه النبي – صلى الله عليه وسلم – أولا بالنور، وثانيا بالهدى، وأسهمت الاستعارة فى زيادة الحزن والأسى إلى ما هم فيه، وبذا صار الطباقان فى البيت مرشحين.

ويقول فى مقام الحث على الأخذ بالثأرمن الرجز:([1])

دُبُّوا دَبِيْبَ النَّمْلَ لا تَفُوتوا ☆☆ وأصْبِحُوا بحَرْبِكم وَبِيْتُوا

الطباق فى البيت بين"أصبحوا"و"بيتوا"،وهو طباق خفي، إذ ضد الصباح المساء، ولكن لما كان زمن المبيت فى المساء صح الطباق، وكشف هذا الطباق، عن الحث على استمرارهم فى الحرب حتى الوصول إلى غايتهم، وهى الأخذ بالثأر.

وهو طباق مرشح لاحتواء البيت على التشبيه فى قوله "دُبُّوا دَبِيْبَ النَّمْلَ"، والأمر "دُبُّوا" والنهى "لا تَفُوتوا" أبانا عن معانى الحث، والنصح والإرشاد.

ويقول فى مقام الحث على الصبر([1])

([1]) السابق:٤٨.

وَإِنْ ضَاقَ رِزْقُ اليومِ فَاصْبِرْ إِلى غَدٍ ☆☆ عَسَى نَكبَاتِ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ

يحث الشاعر على لزوم الصبر عند ضيق الرزق فلعل يعقب الضيق فرج قريب

والطباق بين "اليوم" و"غد" يكشف عن قيمة الصبر وأهميته وسرعة زوال الضيق، فها هى المدة ليست طويلة، بل من اليوم إلى الغد.

والشرط فى أول البيت أتى بالأداة "إن" فى إشارة إلى ندرة وقلة حصول ضيق العيش فى مقابل سعته ورخائه، وهى لفتة ذكية من شاعر خبر النفوس وما جبلت عليه.

والأمر "فاصبر" للحث على الصبر، والنصح والإرشاد أيضا.

وقوله "عَسَى نَكبَاتِ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ" إنشاء غير طلبي بـ"عسى" ليبث فيه الأمل والرجاء فى انزياح ما ألم به من ضيق العيش.

وبذلك يتآزر الإنشاء الطلبي وغير الطلبي مع الطباق فى إبراز المراد، وبذا صار طباقا مرشحا.

ويقول فى مقام النصح والوعظ من الطويل([٢])

وَلَا تُرْجِ فِعْلَ الخَيْرِ يَومًا إِلى غَدٍ ☆☆ لَعلَّ غَدًا يأتي وأنت فقيدُ

ويَومُكَ إِنْ عَايَنْتَهُ عَادَ نَفْعُهُ ☆☆ إِلَيْكَ وَمَاضي الأمْسِ ليس يَعُودُ

([١]) السابق:١٢٧.

([٢]) الديوان:٦٠.

خير البرعاجله، تلك العبارة رام الشاعر صياغتها ولكن بطريقته الخاصة، فأخرج لنا ذلك البيت الأول، والطباق – كما ترى – بين "يوماً" و"غدٍ"، وقد كشف لنا عن أهمية الإسراع فى فعل الخير، وعدم إرجائه بأى حال من الأحوال؛ لأن الإنسان لا يدرى ماذا يعرض له. وقد استعان الشاعرفى تقوية وتأكيد معنى الطباق بأسلوب الإنشاء بقسميه، الطلبي، وذلك من خلال النهى فى قوله "وَلَا تُرْجِ" مفصحا عن الحث والإسراع فى عمل الخير، أما الإنشاء غيرالطلبي فكان فى الشطرالثانى من البيت، من خلال أسلوب الترجى والتوقع بـ"لعل"، فلربما أرجأت فعل الخيرإلى الغد وأتاك فيه أجلك.

وفى البيت طباق آخر بين "يومك" و"الأمس"، فاليوم يعنى الحال والحاضر، والأمس يعنى الماضى، وبين الحال والماضى تضاد، فهو طباق بين الظروف موجب، وهو يسهم بدوركبير فى تقوية المعانى التى كشف عنها الطباق السابق الذى كان بين فعلين.

ويقول فى مقام الحديث عن نفسه من الخفيف:([1])

إِنَّ عَبْدًا أَطَاعَ رَبا جَلِيلاً ☆☆ وَقَفَا(٢) الدَّاعِيَ النَّبِيَّ الرَّسُولَا

فَصَلَاةُ الإِلهِ تَتْرَى عَلَيهِ ☆☆ فِى دُجَى اللَّيلِ بُكْرَةً وَأَصِيلَا

يتحدث الشاعرعن نفسه بأنه أطاع ربه واتبع نبيه، فاستتبع ذلك الرحمة من الله.

([1]) السابق:١٣٢.

([2]) قفا الشيء :اتبعه.اللسان (قفا).

والطباق فى البيت الثانى بين قوله "بُكْرَةً" و"أَصِيلَا"- كشف ذلك الطباق عن تتابع نزول رحمة الله بالشاعر، وقد ذكر لنا أسباب ذلك.

فتراه أكد الخبر فى أول البيت بـ"إن" واسمية الجملة ليطلعنا على أن نفسه انفعلت وتفاعلت بتلك الحقيقة التى كشفها لنا.

وفى تتابع الصفات التى ذكرها للنبي – صلى الله عليه وسلم- فى قوله "الدَّاعِيَ النَّبِيَّ الرَّسُولَا" دون ذكر للواو فيما بينها، إشارة إلى أنه – عليه السلام – جامع لهذه الخصال.

والفاء فى قوله "فَصَلَاةُ " هي فاء التفريع؛ لأنّ هذا كلام تفرّع على الكلام السابق، وفيها معنى العطف، والعطف هنا هو عطف قصة على قصة، أي عطف مضمون كلام على مضمون كلام آخر، والمعطوف هو هذا البيت الثانى.

وتأمل تأثره – رضى الله عنه – بالقرآن الكريم فى اصطفاء كلمة "تَتَرَى".

والإضافة فى قوله "فَصَلَاةُ الإِلهِ" إضافة تشريف، والمراد بصلاة الإله رحمته سبحانه. كما أن الإضافة فى قوله "دُجَى اللَّيلِ" كشفت لنا عن ذلك الوقت وقت السحر الذى تتنزل فيه الرحمات وتستجاب فيه الدعوات.

ويقول فى مقام الاتعاظ بزوال الدنيا ووجوب العمل للآخرة من البسيط:([1])

النفس تبكي على الدنيا وقد علمت ☆☆ أنَّ السَّلَامَةَ فِيْهَا تَرْكُ ما فِيها

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ☆☆ إلاَّ الَّتي كانَ قَبْلَ المَوْت بانِيها

([1]) الديوان:١٥٥.

عجيب أمر تلك النفس التى تعلم وتوقن أن سلامتها فى الدنيا بترك ما فيها، ثم هى تبكى على تلك الدنيا.

والطباق فى البيت الثانى وقع بين الظرفين "بعد" و"قبل" وهما ظرفا زمان. وقد كشف هذا الطباق عن أهمية العمل لما بعد الموت، فليس للإنسان دار يسكنها فى الآخرة التى بناها فى دنياه، وهى مواعظ جليلة صيغت بأبيات غاية فى الروعة، ولسهولة معانيها ورقة ألفاظها تشعروكأنها الماء الجارى الرقاق.

والطباق مرشح لوروده بين ثنايا أسلوب القصر بالنفى والاستثناء، فقد نفى الشاعر وجود أي دار للمرء يسكنها فى الآخرة إلا التى صنعها فى دنياه، وهو من قصر الصفة على الموصوف قصرا حقيقيا تحقيقيا.

هذا وقد أتى الطباق فى شعر علي بن أبى طالب – رضى الله عنه – بين أمور مختلفة فوقع بين اسم المفعول واسم الفاعل، وبين الفعل المبنى للمجهول واسم المفعول، الطباق بن الفعل المبنى للمجهول وصيغة المبالغة "فعول"، الطباق بين ضمير المخاطب وضمير الغائب، وبين اسم الفاعل والصفة المشبهة.

(ب) الطباق بين اسم المفعول واسم الفاعل:

وقع الطباق بين اسم المفعول، واسم الفاعل فى شعر علي – رضى الله عنه – والصياغة من مادة واحدة تارة، ووقع من مادتين

مختلفتين تارة أخرى، فمن الأول قوله فى مقام حديثه عن الاستغناء بالخالق من السريع:([1])

اغْنَ عَنِ المَخْلُوقِ بِالخَالِقِ ☆☆ وَاغْنَ عَنِ الكَاذِبِ بِالصَّادِقِ

فالطباق – هنا بين اسم المفعول "المَخْلُوقِ" واسم الفاعل "الخالق"، واسم المفعول يدل على من وقع عليه الفعل، واسم الفاعل يدل على من وقع منه الفعل، وبذلك صح التضاد، أى تضاد الدلالتين، وليس بين اللفظين.

وأفصح الطباق عن مدى أهمية ووجوب الاغتناء بالخالق الرازق، والاعتماد عليه ، وعدم التعويل على المخلوق.

وفى البيت طباق آخر بين اسمين "الكاذب" و"الصادق"، وقد أبان قيمة وأهمية الاغتناء بالصادق ولزومه، وعدم الركون إلى الكاذب.

والبيت معتمد فى إنشائه على الإنشاء الطلبي، من خلال أسلوبي الأمر "اغن" الكاشف عن النصح والإرشاد، وهو ما يتناغى والغرض من الطباقين.

والطباقان مرشحان، حيث ضمهما أسلوب الوصل، فقد وصل الشاعر بين شطري البيت لما بينهما من التوسط بين الكمالين؛ وذلك لاتحاد الجملتين فى الإنشائية لفظا ومعنى.

ومنه قوله فى مقام رثاء النبي– صلى الله عليه وسلم – من الطويل:([2])

([1]) السابق:١١٢.

([2]) الديوان:١٦٠.

شَدِيْدٌ جَرِيْءُ النَّفْسِ نَهْدٌ مُصَدَّرٌ ☆☆ هُوَالمَوْتُ مَغْدُو عَلَيْهِ وَغَادِيا

يسكب الشاعرعلى المرثي – عليه السلام – طائفة من الصفات العالية الرفيعة،

والطباق بين اسم المفعول "مَغْدُوٌّ" وبين اسم الفاعل "غَادِيا"، وقد كشف الطباق عن مدى بأس وشجاعة النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى صوره الشاعر عن طريق الاستعارة التصريحية الأصلية بالموت، ومع أنه الموت إلا أن الموت قد غدا عليه واغتاله فصار مغدوا عليه، وبهذه الاستعارة صار الطباق مرشحا.

ويلحظ على الصفات والصور التي خلعها الشاعرعلى مرثيه– عليه السلام – أنها جاءت متتابعة متوالية بدون عطف، إذ بينها اتصال وثيق، وفي هذا ما يوحي بكمال اجتماعها في هذا الموصوف([1]) – صلى الله عليه وسلم – وبأنّ تلك الصفات المتنوعة جميعاً قد اكتملت كلها فيه.

وفى الكلام حذف للمسند إليه تقديره "هو شديد.."الخ، وضيق المقام هو سبب ذلك الحذف.

ومن الثانى قوله من الكامل فى مقام التحذير من العدو:([2])

إنَّ الحَقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ ☆☆ فَالحِقْدُ بَاقٍ فِي الصُّدورِ مُغَيَّبُ

([1])ينظرعلم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د/بسيوني فيود: ٢ / ١٧٤– مكتبة وهبة ، د.ت .

([2]) الديوان:٤٥.

والطباق بين اسم الفاعل "بَاقٍ" واسم المفعول "مُغَيَّبُ"، كشف عن هول ما يكنه الحاقد من غل وكره فى صدره مهما توالت عليه الأيام والسنون.

وبذا كان الطباق خير معين فى التحذير من ذلك النوع من الناس.

والاعتراض فى قوله "وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ" أفاد التنبيه على تلك الحقيقة والتأكيد عليها، أى فلا يمكن تصور أن مرور وقت طويل يجعل الحاقد ينسى حقده وعداوته، وهذا الاعتراض يكشف عن متابعة واعية من الشاعر، وبصر جيد بالنفوس، وكيف يصل إلى دفائنها وحقائقها من أقرب طريق.

(ج) الطباق بين الفعل المبنى للمجهول واسم المفعول:

وذلك قوله من السريع فى مقام الحديث عن الأرزاق:([1])

لو كَانَتِ الأَرْزَاقُ تَجْرِى عَلَى ☆☆ مِقْدَارِ مَا يَسْتَأْهِلُ العَبْدُ

لَكَانَ مَنْ يُخْدَمُ مُسْتَخْدَمًا ☆☆ وَغَابَ نَحْسٌ وَبَدَا سَعْدُ

يقول إن الأرزاق لا تكون بمقدار ما يستحق العبد، ولو كان ذلك كذلك، لاستحال المخدوم خادما، وغاب النحس، وظهر السعد.

والطباق فى البيت الثانى بين الفعل المبنى للمجهول "يُخْدَمُ"، أى من يقام على خدمته، فهو المخدوم، وبين اسم المفعول "مُسْتَخْدَمًا" أى: الخادم، فبينهما تضاد واضح ومن أجل ذلك صح التضاد. وفى الشطر الثانى من

([1]) السابق: ٦٠.

البيت نفسه مقابلة لطيفة فى قوله "وَغَابَ نَحْسٌ وَبَدَا سَعْدُ" تلك المقابلة تتآزر مع الطباق فى تقرير وتأكيد المراد، وبذلك يصبح طباقا مرشحا.

والبيت غاية فى الترابط والإحكام نجم ذلك من جراء بنائه على الشرط والجواب.

(د) الطباق بن الفعل المبنى للمجهول وصيغة المبالغة "فعول"([1])

من ذلك قوله فى مقام حديثه عن مآل قلة المال وكثرته من الطويل:([2])

يُغَطِّي عُيوبَ المَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ ☆☆ يُصَدَّقُ فِيمَا قَالَ وَهْوَ كَذُوْبُ

على مقياس كثرة المال وقلته يوضح الشاعر هنا أن كثرته تحجب العيوب، وقلته تزرى بالعقول، ثم يوضح كيفية حجب العيوب، والإزراء بالعقول.

وفى البيت طباق بين الفعل المبنى للمجهول "يُصَدَّقُ" وصيغة المبالغة "كذوب" وقد كشف هذا الطباق عن مفعول السحر لذلك المال من خلال الحكم على الكاذب بأنه صادق فيما يقول، وهذا فيه ما فيه من الإشارة إلى شدة سطوة هذا المال على عقول البشر.

(هـ) الطباق بين ضمير المخاطب وضمير الغائب، وبين اسم الفاعل والصفة المشبهة:

([1]) سبق إيراد هذا البيت فى الطباق بين المختلفين، وإنما ذكر هنا لتضمنه صورة من صور الطباق التى لم يشر إليها
البلاغيون، ينظر البحث: ٤٦.

([2]) الديوان:٢٧.

وقع ذلك فى مقام نصحه لرجل كره صحبة رجل من مجزوء الوافر:([1])

فلا تصحب أخا الجهل ☆☆ وإيـاك وإيـاه

فكـم من جاهـل أردى ☆☆ حليمًا حين آخاه

فى هذا البيت طباقان الأول: بين ضمير المخاطب "إياك" وضمير الغائب "إياه" ولما كان ضميرالمخاطب يعنى أن المخاطب حاضر، وكان ضمير الغائب يعنى أنه غائب صحت المطابقة؛ لأن الطباق ليس بين الضميرين، بل بين مدلوليهما.

والطباق الثانى طباق بين اسم الفاعل "جاهل" والصفة المشبهة "حليمًا"، ولما كان اسم الفاعل يدل على من قام به الفعل على وجه الحدوث والتجدد، وكانت الصفة المشبهة تدل على من قام به الفعل على وجه الثبوت صح التضاد فصحت المطابقة.

والطباقان مرشحان، إذ اعتمد الشاعر فى البيت الأول على أسلوب الإنشاء الطلبي من خلال النهى فى قوله "فلا تصحب" الذى أبان عن النصح والتحذير معا، واعتمد فى بيته الثانى على الإنشاء غير الطلبي من خلال أسلوب "كم" الخبرية الدالة على التكثير، وتأمل الإضافة فى البيت الأول فى قوله "أخا الجهل" حيث أبانت عن معانى التشويه والازدراء مما يسهم فى تأكيد معانى النصح والتحذير بالابتعاد عنه، والحق أن "الأخوة كلمة توسعوا في استعمالها، فأضافوها إلى الحرب والفضل والجود والعزاء

([1]) الديوان:١٥٣.

– وهنا مضافة إلى الجهل – فقالوا أخو الحرب وأخو الجود... وكلها صور مجازية بنيت على تصور الجود والحرب وغيرها مما يضاف إلى كلمة أخ شخوصاً وأناساً بينها وبين المذكور معها مؤاخاة وملازمة، وهذه المؤاخاة تجري بين إنسان ومعنى هو الحرب والجود والفضل إلى آخره... ومعنى أخوة هذا الرجل للجهل هو أنّه ملازم لها ملازمة الأخوة ومرتبط بها ارتباط الدم والنسب"([1]).

****

([1]) قراءة فى الأدب القديم:١٣٨، ١٣٩. بتصرف.

الخاتمة

فبعد تلك المعايشة الشائقة والممتعة فى آن واحد مع الطباق وصوره ومقاماته

فى شعرعلي بن أبى طالب – رضى الله عنه – يمكن القول إن البحث خلص إلى

عدة نتائج من أبرزها:

• فندت تلك الدراسة عمليا مقولة أن البديع من صنيع المتقدمين أمثال بشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبى تمام، والبحتري؛ نظرا لإكثارهم منه، فشاعرنا علي – رضى

الله عنه– من شعراء صدر الإسلام، وقد رأيناه يصول ويجول فى واحد من فنون

البديع– حيث هو موضوع الدراسة – والديوان يغص بفنون البديع الأخرى سوى

الطباق.

• وقع الطباق عند شاعرنا مطبوعا غير مصنوع، فلم نر تكلفا، ولا إلغازا، ولا تعمية، وقد ورد عفويا استدعاه المقام وتطلبه السياق؛ ولذا فقد اتكأ عليه فى تصويرما ألم به بعد الفراغ من موقعة الجمل، وفى تصوير صبره وتحمله صروف الدهر، وتقلبه معه بين العسر واليسر، وفى الوعظ والنصح، والحديث عن التطبع والتصنع، وتصوير طبيعة الدنيا، ومن ثم

فقد سقطت مقولة إن حسن البديع عرضي لا ذاتى، فها هو غدا وسيلة من وسائل شاعرنا فى التعبيرعما يمور ويدور بعقله وقلبه.

• وقع الطباق عند شاعرنا بالصور جميعها التى أتى عليها عند المتأخرين، بل إنـه

زاد على ذلك صورا لم يشيروا إليها، وذلك كالطباق بين الظروف، والطباق بين

الحروف عن طريق السلب، والطباق بين اسم المفعول واسم الفاعل مصوغًا من

مادة واحدة تارة، ومن مادتين مختلفتين تارة أخرى، والطباق بين الفعل المبنى

للمجهول واسم المفعول، وبين الفعل المبنى للمجهول وصيغة المبالغة "فعول"

والطباق بين ضمير المخاطب وضمير الغائب، والطباق بين اسم الفاعل والصفـة

المشبهة.

• كشفت لنا دراسة الطباق لدى الشاعرعن جانب من معجمه الشعري، إذ بعد

استقراء الديوان كاملا وقراءته بتأن أكثر من مرة ألفيت الشاعر مكثرا من الحديث

عن اليسروالعسر- بإيراد مادتيهما بتقلباتهما اللغوية المتعددة من قبيل:عسر، وعسرة، وإعسار، وأعسرت، ويسر، وميسور، وتيسير، والفقر والغنى والصفو

والكدر، والتزهيد فى الدنيا، وما هو سبيله نحو ذلك، وقد عزا البحث ذلك إلى الحياة

الاجتماعية للشاعر، حيث قالت لنا كتب السيرة والتاريخ الإسلامي ما كانت عليه

حياته من شظف وشدة، فكثيرا ما تتفجر قريحته الشعرية ويلهج لسانه بالحديث عن

التصبر والتأميل لمجيء اليسر خلفا للعسر، وهذا ما حدا بالبحث - أيضا - إلى الميل

بأن جل ما يسوقه فى حديثه لتلك المعانى - إن لم يكن كله - إنما يسوقه على سبيل

التجريد، إذ جرد من نفسه شخصا آخر أتاح له بث شكاياته، وحثه على الرضا

والتسليم بكل ما يلم به، وحثه كذلك على لزوم الصبر، تعزية وتسلية لنفسه.

• لوحظ أن الطباق الإيجابي سواء بين الأفعال أو الأسماء أو المختلفين أكثر ورودا

من طباق السلب، ويعزى ذلك إلى وضوح الإمام – رضى الله عنه – فلا إلغاز ولا تعمية فى طباقاته، وهذا راجع إلى تكوينه النفسي، وتنشئته الاجتماعية، ولا غرو فى ذلك فهو الذى تربى فى حجر سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم – ومما لا شك فيه أن إخراج معانيه التى أمها فى أشعاره فى صورة جلية وواضحة يكون له أثره البالغ فى النفوس، فمن ثم يحدث التجاوب بين المرسل والمتلقى فيكون التأثر

والانفعال والوصول إلى المبتغى، وذاك هو الأدب الحي فى أدنى تعريف له.

• كثيرا ما يستعين الشاعر فى تقوية الغرض من الطباق الذى يسوقه بالأساليب

البلاغية الأخرى وغيرها، فاستعان بذكر المسند إليه والمسند وحذفهما، وبالمجاز

العقلي، والإيجاز والإطناب، والاستعارة بأنواعها، والكناية، والقصر، والإنشاء

بنوعيه، والفصل والوصل، وبصور بديعية أخرى...الخ تلك الأساليب، واستعان بتكرار الحروف فى البيت الواحد والبيتين كثيرا، حتى بلغ به الأمر أن كرر فى

بيتين اثنين حرفي "الواو" و"الميم"عشرين مرة، فكان نصيب "الواو" من

التكرار إحدى عشرة مرة، أما "الميم" فقد تكررت تسع مرات([1]).

• تنوعت وتعددت المقامات التى وقع فيها الطباق عند شاعرنا، حيث غلب على طباق الأسماء مقامات الوعظ والنصح، والمدح، الحديث عن طبيعة الدنيا، وتحمله صروف الدهر ونوائبه، وتصوير ما ألم به بعد الفراغ من موقعة الجمل، والحديث بين التطبع والتصنع والحث على الصبر، ومقام الرضا بما ينزل به، والحث على الصبر، والدعاء، وشحذ الهمم، وتصحيح وتوضيح بعض المفاهيم كالبلية، واليتيم، بينما غلب على طباق الأفعال مقامات الفخر، والابتهال والمناجاة ، والنصح والوعظ، والحث على الجوع، والوصية، ومفهوم الأخ الحقيقي، والمناجاة والرضا، وحال الدهر، والحديث عن المودة، وتغلب الفقرعليه، ومداراة الرجال، وعدم ذكر النساء،

والتحذير من الكسل فى طلب العلم، بينما غلب على الطباق بين المختلفين مقامات

الحديث عن الفخر، وقيمة العلم، والغزل، ومآل قلة المال وكثرته، والمناجاة والدعاء،

والنصح.

• ورد طباق السلب بين المختلفين وهو مصوغ من مادة واحدة، وورد أيضا وهو

مصوغ من مادتين مختلفتين، وهذا بدوره يوسع الباب ويجعله أكثر شمولا.

([1]) ينظر السابق:٢٨.

• كثيرا ما اعتمد الشاعرعلى أسلوب الشرط تقوية وربطا لكلامه.

• قصور نظرة البلاغيين لشواهد الطباق بين الحروف بالرغم من كثرته فى التراث

الأدبي العربي "شعره ونثره" وهذا ما تجلى واضحا فى شعر علي بن أبى طالب –

رضى الله عنه – والذى حفل بكثير من صور الطباق بين حرفين.

• اتخذ الشاعر من أسلوب الطباق وسيلة فى النهى عن العادات السيئة، كالتفاخر

بالآباء([1]).

• لوحظ أن العلماء أتوا بشواهد الطباق السلبي بين الأسماء والأفعال والمختلفين،

ولكن لم يشر أحد منهم لطباق السلب بين الحروف وهو مستساغ وواضح كما هو

بين الأسماء والأفعال، وقد وقعت على صور كثيرة فى شعر علي رضى الله عنه.

• غلب على طباق الحروف بنوعيه الإيجابي والسلبي مقامات الفخر، التضرع

والدعاء، التعجب من الزمان، الحديث عن يوم القيامة.

([1]) البحث:٣٤.

• غلب على الطباق بين الظروف مقامات الرثاء، والنصح والوعظ ، والحث على

الصبر، والحث على الأخذ بالثأر.

• بدا التأثر البالغ بالقرآن الكريم من خلال كثرة اقتباساته منه، ولاعجب فى ذلك فى

زمن تنزل القرآن ونبي القرآن.

• من الملفت فى جديد صور الطباق عند الشاعر إيراده أربعة ظروف فى بيت

واحد، وذلك ماجاء فى قوله:

وَكُنَّا بِمَرْآهُ نَرى النُّورَ وَالهُدَى ** صَبَاحَاً مَسَاءً رَاحَ فينَا أَوِاغْتَدَى

• وأخيرا يمكن القول إن الشاعر قد استطاع أن يجعل من الطباق بصوره وأقسامه

وسيلة من وسائل الفخر، والمدح، وسائر الأغراض التى جاش بها فؤاده

وصاغها بيراعه، فليس إذًا الطباق وغيره من صور البديع الأخرى مجرد

حلية لفظية تأتى بعد تمام التعبيرعن المعنى، بل صار وسيلة وطريقة أصيلة برأسها فى التعبيرعن مكنونات النفوس، وخلجات القلوب والمشاعر.

وبعد: فهذا هو جهدي المتواضع في هذه الدراسة، وهذه بعض نتائجها، فإن أكن بها قد أصبت الهدف، فذلك الفضل من الله وحده، فله – سبحانه – الحمد والشكران،وإلا فبحسبي ثواب المحاولة والاجتهاد، وأرجو بهذه الدراسة أن أكون قد أضفت شيئا ذا بال إلى مكتبة البلاغة العربية التطبيقية، وما توفيقي إلا بالله، وهو وحده يقول الحق ويهدى السبيل.. "رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا"[١].

الباحث

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١ –الأساليب الإنشائية فى النحو العربي – عبد السلام محمد هارون: مكتبة الخانجي بمصر – ط ٢ – ١٣٩٩هـ –١٩٧٩م.

[١] – سورة البقرة من الآية :٢٨٦.

٢-الأعلام لخير الدين الزركلى- دار العلم للملايين – ط ١٥ – ٢٠٠٢ م.

٣- الإيضاح فى علوم البلاغة المعانى والبيان والبديع- دار إحياء العلوم – بيروت – ط الرابعة – ١٩٩٨م.

٤-البداية والنهاية، تحقيق/علي شيري- دار إحياء التراث العربي – ط أولى – ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

٥-البديع تأصيل وتجديد، منير سلطان- منشأة معارف الإسكندرية – ١٩٨٦.

٦- بديع القرآن لابن أبى الإصبع المصري – تحقيق/ حفنى شرف – ط نهضة مصر- د.ت.

٧- البلاغة تطور وتاريخ- د/ شوقى ضيف – ط دار المعارف – د.ت.

٨- تحرير التحبير لابن أبى الإصبع المصري- تحقيق/ حفنى شرف – ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة.

٩-الجنى الدانى لابن هشام – طبعة بيروت – د.ت.

١٠- حاشية الدسوقي- (ضمن شروح التلخيص)- ط دار السرور- بيروت- لبنان.

١١- حاشية الصبان على شرح الشيخ الأشموني على ألفية الإمام ابن مالك، لمحمد ابن علي الصبان الشافعي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ط١ - ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٧م.

١٢- الخصائص لابن جني ، تحقيق/ محمد على النجار- ط دار الهدى للطباعة -

– بيروت – لبنان – د.ت.

١٣– خصائص التراكيب – دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني– د/ محمد أبوموسى – مكتبة وهبة – ط ٤– ١٤١٦هـ ، ١٩٩٦م،

١٤– دراسات فى علم البديع د/ أحمد محمد علي– مطبعة الأمانة– ط أولى – ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٥– دراسات وتطبيقات فى علم البديع، د/ يحيى محمد يحيى– مطبعة الأمانة– ط أولى ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م.

١٦– دراسات وتطبيقات فى علم البيان د/ يحيى محمد يحيى – مطبعة الأمانة– ١٤١١هـ ، ١٩٩١م.

١٧– دراسة في البلاغة والشعر، محمد أبوموسى – مكتبة وهبة – ط أولى – ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م.

١٨– ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق/ محمد عبده عزام– ط الرابعة – دار المعارف – د.ت.

١٩– ديوان البحتري – تصحيح/ عبدالرحمن البرقوقي – مطبعة هندية بالموسكى –
– مصر– ١٣٩٢هـ ، ١٩١١م.

٢٠– ديوان زهير بن أبى سلمى– اعتنى به، حمدو طمَّاس – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط ثانية– ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م.

٢١– ديوان علي بن أبى طالب – رضى الله عنه – اعتنى به، عبد الرحمن المصطاوي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – ط ثالثة– ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢٢- ديوان الفرزدق - شرح وضبط على فاغور- دار الكتب العلمية - بيروت -
لبنان - ط أولى - ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م.
٢٣- شروح التلخيص - طبعة دار السرور- بيروت - د.ت.
٢٤- الصاحبى فى فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق/ السيد أحمد صقر- ط عيسى البابى الحلبي - د.ت.
٢٥- الصبغ البديعي- أحمد موسى - ط دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة ١٣٨٨هـ، ١٩٦٩م.
٢٦- عروس الأفراح لابن السبكي- (ضمن شروح التلخيص) ط دار السرور - بيروت - لبنان.
٢٧- علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، د/بسيوني فيود- مكتبة وهبة ، د.ت .
٢٨- العمدة لابن رشيق القيرواني، تحقيق/ محمد محيي الدين عبدالحميد - ط دار الجيل - د.ت.
٢٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر، أبى الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت - ١٣٧٩هـ.
٣٠- الفوائد المشوق لابن القيم - طبعة مكتبة المتنبى - القاهرة - د.ت.
٣١- قراءة في الأدب القديم ، د/ محمد أبو موسى- دار الفكر العربي- ط أولى، ١٩٧٨م.

٣٢- الكامل فى اللغة والأدب للمبرد، تحقيق/ محمد أبوالفضل إبراهيم – دار الفكر العربي – القاهرة – ط ثالثة – ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٣٣- كتاب أسرار البلاغة للإمام عبد القاهرالجرجاني، تحقيق/ محمود محمد شاكر- مطبعة المدني – ط – أولى ١٤١٢هـ ١٩٩١م.

٣٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري – تحقيق/ عبدالرازق المهدي – دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت.

٣٥- كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكري، تحقيق/ على محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم – ط دار إحياء الكتب العربية – د.ت.

٣٦- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين البرهان فوري، تحقيق/ بكري حياني، وصفوة السقا – مؤسسة الرسالة – ط الخامسة – ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٣٧- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري – دار صادر- بيروت – ط أولى – د.ت.

٣٨- المثل السائرلابن الأثير، تحقيق/ الحوفى، وطبانة- ط نهضة مصر- د.ت.

٣٩- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري – تحقيق/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله – دار الفكر- بيروت- ط سادسة-١٩٨٥.

٤٠- مفتاح العلوم ، للسكاكي، ضبط وتعليق/ نعيم زرزور – دار الكتب العلمية – بيروت- ط – ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م

٤١- المقاييس البلاغية والنقدية فى البيان والتبيين، د/ فوزى السيد عبد ربه.

٤٢- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لأبى الحسن علي بن محمد الواسطي المغازلي تحقيق/ أبو عبد الرحمن تركي الوادعي- دار الآثار - صنعاء- ط أولى - ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٣- منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني، تحقيق/ محمد الحبيب بن الخوجة - ط دار الكتب الشرقية - تونس ١٩٦٦م.

٤٤- النحو الوافي/عباس حسن- دار المعارف - الطبعة الخامسة عشرة- د.ت.

٤٥- نقد الشعر لقدامة بن جعفر، تحقيق د/ محمد عبد المنعم خفاجي - ط بيروت- د.ت.

٤٦- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى ، تحقيق/طاهرأحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي- - المكتبة العلمية - بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

****

محتويات البحث

مقدمة

التمهيد

المطلب الأول: نبذة عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه.

اسمه ونسبه

إسلامه

كنيته

أولاده

خلافته وإقامته

صفته الخلقية

آثاره

تأملات فى شعره

مصادر شعره

ترجمة شعره – رضى الله عنه – وشرحه

وفاته

المطلب الثانى:عن الطباق حقيقته، وصوره، وأنواعه.

مسميات الطباق

الطباق فى اللغة والاصطلاح

صور الطباق

الطباق بين اسمين

الطباق بين فعلين

الطباق بين حرفين

الطباق بين مختلفين اسم وفعل

طباق الإيجاب والسلب

من شواهد الطباق بين اسمين عن طريق السلب

من طباق السلب بين مختلفين اسم وفعل

وقوع طباق السلب بين الحروف

الطباق الخفى أو المعنوي

ما يلحق بالطباق

طباق التدبيج

ترشيح الطباق

المبحث الأول: الطباق بين الأسماء فى شعرعلي بن أبى طالب رضى الله عنه.

(أ) الطباق بين الأسماء عن طريق الإيجاب

(ب) الطباق بين الأسماء عن طريق السلب

(ج) الطباق المعنوي بين الأسماء

المبحث الثانى: الطباق بين الأفعال فى شعرعلي بن أبى طالب رضى الله عنه

(أ) الطباق بين الأفعال عن طريق الإيجاب

(ب) الطباق بين الأفعال عن طريق السلب

(ج) الطباق المعنوي أو الخفي بين الأفعال

المبحث الثالث: الطباق بين المختلفين فى شعرعلي بن أبى طالب رضى

الله عنه.

(أ) الطباق بين المختلفين عن طريق الإيجاب

(ب) الطباق بين المختلفين عن طريق السلب

المبحث الرابع: الطباق بين الحروف فى شعرعلى بن أبى طالب رضى الله عنه

(أ) الطباق بين الحروف عن طريق الإيجاب

(ب) الطباق بين الحروف عن طريق السلب

المبحث الخامس:الجديد من صور الطباق فى شعر علي بن أبى طالب رضى الله عنه.

(أ) الطباق بين الظروف

(ب) الطباق بين اسم المفعول واسم الفاعل

(ج) الطباق بين الفعل المبنى للمجهول واسم المفعول

(د) الطباق بين الفعل المبنى للمجهول وصيغة المبالغة"فعول"

(هـ) الطباق بين ضمير المخاطب وضمير الغائب

الطباق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة

الخاتمة

المصادر والمراجع

محتويات البحث